

التشيعة تجيب



المؤلف:

آية الله العظمى السيد رضا حسيني نسب

ترجمة

حيدر المسجدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ مَنَعَهُ مِنْهُ
مَنْ مَنَعَهُ مِنْهُ

مقدمة

-
- السؤال الأول : أيّ نسختي حديث التقلين صحيحة : «وعترقي» أم «وسنتي» ؟
.....
- السؤال الثاني : ما المقصود من الشيعة ؟
.....
- السؤال الثالث : لماذا تقولون إنّ عليّاً(عليه السلام) وصيّ النبي(صلى الله عليه وآله) وخليفته ؟
.....
- السؤال الرابع : من هم الأئمة ؟
.....
- السؤال الخامس : لم تعطفوا الآل على اسم النبي عند الصلاة عليه ؟
.....
- السؤال السادس : لم تسمّون أئمّتكم بالمعصومين ؟
.....
- السؤال السابع : لم تشهدون بالولاية لعليّ في الأذان ؟
.....
- السؤال الثامن : من هو المهدي ولماذا تنتظرونه ؟
.....
- السؤال التاسع : إن كانت الشيعة على حقّ فلماذا هم الأقلية بين المسلمين ؟
.....
- السؤال العاشر : ما هي الرجعة ، ولماذا تعتقدون بها ؟
.....
- السؤال الحادي عشر : ما هي الشفاعة التي تعتقدون بها ؟
.....
- السؤال الثاني عشر : هل طلب الشفاعة من الشفعاء شرك بالله ؟
.....
- السؤال الثالث عشر : هل الاستعانة بغير الله شرك ؟
.....
- السؤال الرابع عشر : هل دعاء ونداء الآخرين من الشرك بالله ؟
.....
- السؤال الخامس عشر : ما هو البداء ولماذا تعتقدون به ؟
.....
- السؤال السادس عشر : هل تعتقد الشيعة تحريف القرآن ؟
.....
- السؤال السابع عشر : ما هو رأي الشيعة في الصحابة ؟
.....
- السؤال الثامن عشر : ما المراد من نكاح المتعة ولماذا يحكم الشيعة بحليّته ؟
.....
- السؤال التاسع عشر : لماذا يسجد الشيعة على التربة ؟
.....
- السؤال العشرون : لماذا يترك الشيعة بأواب وجدران المشاهد عند زيارتهم لها ؟
.....
- السؤال الحادي والعشرون : هل الدين مفصول عن السياسة في النظرة الإسلاميّة ؟
.....
- السؤال الثاني والعشرون : لماذا يقول الشيعة إنّ الحسين أولاد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ؟
.....
- السؤال الثالث والعشرون : لماذا تعتقد الشيعة أنّ الخلافة بالنصّ ؟
.....
- السؤال الرابع والعشرون : هل القسّم بغير الله شرك ؟
.....
- السؤال الخامس والعشرون : هل التوسّل بأولياء الله شركٌ وبدعة ؟
.....
- السؤال السادس والعشرون : هل إحياء ذكرى ولادة أولياء الله شركٌ وبدعة ؟
.....
- السؤال السابع والعشرون : لماذا يصليّ الشيعة الصلوات الخمس في ثلاثة أوقات ؟
.....
- السؤال الثامن والعشرون : ما هي مصادر الفقه الشيعي ؟
.....
- السؤال التاسع والعشرون : هل مات أبو طالب على الإيمان حتى تذهبوا لزيارته ؟
.....

السؤال الثلاثون : هل يعتقد الشيعة خيانة جبرئيل في إبلاغ الرسالة ؟

.....

السؤال الحادي والثلاثون : ما هو الملاك والمعيار في التقيّة ؟

.....

السؤال الثاني والثلاثون : لماذا جعل المذهب الجعفري المذهب الرسمي في الجمهورية الإسلامية ؟

.....

السؤال الثالث والثلاثون : هل يعتقد الشيعة وجوب صلاة الوتر ؟

.....

السؤال الرابع والثلاثون : هل الاعتقاد بقدرة أولياء الله الغيبية توجب الشرك ؟

.....

السؤال الخامس والثلاثون : لماذا تقولون أنّ مقام الإمامة أرفع من مقام النبوة ؟

.....

السؤال السادس والثلاثون : ما هو المعيار في معرفة التوحيد من الشرك ؟

.....

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المطلع على الظروف الحاكمة على العالم الإسلامي يعلم جيداً أنّ الأمة الإسلامية العزيزة — في يومنا هذا — تحوّلت إلى أمم متعدّدة ، و أخذت كلّ أمة منها تنحو نحواً وتسير سيرة خاصّة . وبهذا انتهت النتيجة إلى أن يتسلّط الآخرون — الذين سيادتهم رهينة بوجود الخلاف والفرقة — على زمام أمور المسلمين ، ولهذا فقد كرّسوا جهودهم في هذا المضمار ، وعبّؤوا إمكاناتهم المختلفة للانتفاع بكلّ ما يوصلهم الى هذا الهدف .

الأمر الذي لا ريب فيه هو وجود خلافات بين الطوائف الإسلامية في جملة من المسائل ، لكن جملة منها كلاميّة ، والمؤسّس لها علماء الكلام ، ولذا فإنّ عموم المسلمين لا علم لهم بتفاصيلها . وفي قبال هذه المسائل الخلافية توجد مجموعة محاور مشتركة تضمّ جميع المسلمين ، بل هي أكثر من نقاط الاختلاف بينهم . بيد أنّ مشيبي الفرقة يسلّطون الأضواء على نقاط الخلاف دوماً ، ولا يتطرّقون للمحاور المشتركة بينهم في أصول الدين وفروعه .

وفي أحد مؤتمرات التقريب بين المذاهب الإسلامية أوكل إليّ بيان الآراء الفقهية المتعلقة بـ (النكاح ، والطلاق ، والإرث ، و...) ، فقدّمت رسالة أثارت إعجاب المشاركين في المؤتمر ، حيث أظهرت وبيّنت اتّفاق الشيعة والمذاهب الإسلامية الأربعة في أكثر مسائل هذه الأبواب الثلاث ، في الوقت الذي كانت دعوى اتّفاقهم في هذه المسائل غير مقبولة قبل مطالعة هذه الرسالة .

فالذين يفرّقون بين المسلمين ويصفون الشيعة بالفرقة المقطوعة والمفصولة عن بقية الفرق الإسلامية ، ويثّون أقاويلهم في وسائل الإعلام المختلفة صباحاً ومساءً ضدّ هذه الفرقة المظلومة على مرّ العصور ، لا يقدّمون خدمة إلّا لعدوّنا المشترك . وأنا — بدوري — أنصح هؤلاء بإزالة أستار الغفلة وذلك بتقوية الروابط مع الشيعة ، والاتّصال بعلمائهم ومفكرّيهم ، ومعاملتهم معاملة الإخوة ، كي يطبّقوا ويحقّقوا مفاد الآية الكريمة : (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (1) .

ومن الأساليب التي نهجها الاستعمار إلقاء الشبه والإكثار من الإشكالات ، كيما يضرّ ويؤثّر بذلك على الثورة الإسلامية المباركة ، وهذا الأسلوب له قدم تاريخي ، لكنّه في القرون الأخيرة أخذ صوراً مختلفة في الشرق الأوسط والمناطق الأخرى .

(1) الأنبياء : 92 .

وفي موسم الحجّ يتعرّف الكثير من الحجّاج الأعرّاء على الثورة الإسلاميّة ، وعند لقاءهم بالحجّاج الإيرانيّين يطرحون أسئلة وشبهات ألقتها وسائل الإعلام المعادية ويطلبون الجواب عنها . فلأجل تلبية

هذه الحاجة جمعت أكثر هذه الأسئلة — والتي تطفح عليها الصبغة الدينيّة والثقافيّة — في هذا الكتاب للإجابة عنها . وقد تحمّل فضيلة العلامة السيّد رضا حسيني نسب — وبإشرافي عليه — أعباء الجواب عن ذلك ، فأوضح الأجوبة بما تسنح به الفرصة . ورعاية للاختصار اكتفى بالمقدار الضروري من ذلك ، و أما التفصيل فموكول الى وقت آخر .

على أمل أن تكون هذه الخدمة اليسيرة مقبولة ومرضيّة عند إمام زماننا أرواحنا فداه .

قم — الحوزة العلميّة

جعفر السبحاني 1 / 9 / 1374

السؤال الأول

أيّ نسختي حديث الثقلين صحيحة : «وعترتي» أم «وستنتي» ؟

نقل المحدثون حديث الثقلين — والذي يحظى بشهرة واسعة — باختلاف في فقرة منه على نحوين ،
و أوردوه في كتبهم الحديثية ؛ هما :

أ — «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»

ب — «كتاب الله وستنتي»

فأيّ هذين النقلين هو الصحيح ؟

الجواب :

الحديث الصحيح والثابت عن النبي (صلى الله عليه وآله) هو «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ، و أمّا
النسخة التي ورد فيها : «كتاب الله وستنتي» بدلاً من «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ، فهي ضعيفة سنداً
ومردودة ، بخلاف نسخة «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ، فإنها تتمتع بسند صحيح .

سند نسخة «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»

روى هذا النصّ محدّثان كبيران هما : مسلم و الترمذي .

1- فروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم :

قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً فبينا خطيباً بماء يدعى خُماً بين مكة والمدينة فحمد الله
وأثنى عليه ووعظ وذكر ، ثمّ قال : ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربّي
فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله
واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ، ورغب فيه ، ثمّ قال : وأهل بيتي أذكركم الله في
أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي⁽²⁾

ورواه أيضاً الدارمي في سننه⁽³⁾ . وينبغي أن يقال : إنّ سنديهما واضح لا غبار عليه ولا خدشة
فيه .

2- وروى الترمذي هذا الخبر بهذا الشكل :

إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل
ممدود من السماء إلى الارض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض ،
فانظروا كيف تخلفوني فيهما⁽⁴⁾

(2) صحيح مسلم ، ج 4 ، ص 1803 الرقم 2408 (طبعة عبد الباقي) .

(3) سنن الدارمي ، ج 2 ، ص 431 — 432 .

(4) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 663 ، الرقم 37788 .

فأكد مسلم والترمذي — وهما من أصحاب الصحاح — على النص المتضمن عبارة «أهل بيتي» ، وهذا كاف لإثبات رأينا ، مع أنّ سنديهما — كما تقدّم — في غاية الاعتبار والصحة ، فلا حاجة للبحث فيه .

السند الأول لنسخة «وستي»

النسخة التي ورد فيها «وستي» بدل «و أهل بيتي» مختلقة وموضوعة ، وضعتها أيدي مرتبطة بالأمويين ، مضافاً إلى ضعف سندها ، وإليك متن الرواية بأسانيدها :

1 - روى الحاكم في مستدركه هذا المتن بالسند التالي :

عباس بن أويس عن أبي أويس عن ثور بن زيد الديلمي عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله :

يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً ؛ كتاب الله وسنة نبيه⁽⁵⁾

وفي سند هذه الرواية أبّ وابن هما سبب ضعف الرواية وهما : «أبو أويس» و «اسماعيل بن أبي أويس» ، فإنهما مضافاً إلى عدم توثيقهما متّهمان بالكذب واختلاق الأحاديث .

أقوال العلماء فيهما

نقل الحافظ المزّي في كتاب تهذيب الكمال عن علماء القرن في شأن الرجلين ما يلي :

قال يحيى بن معين — من كبار علماء الرجال — : «أبو أويس وولده ضعيفان» . كما نقل عن يحيى بن معين أيضاً قوله : «ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث» . كما قال في حقّ الولد «لا يمكن الاعتماد عليه» .

وقال النسائي : «ضعيف»

وقال أبو القاسم اللالكائي : «بالغ النسائي في الكلام عليه ، إلى أن يؤدي إلى تركه» .

وقال أبو أحمد بن عدي : «ابن أبي أويس هذا روى عن خاله مالك أحاديث غرائب ، لا يتابعه أحد عليه»⁽⁶⁾ .

وقال ابن حجر في كتاب مقدمة فتح الباري : «لا يحتج بشيء من حديثه من أجل ما قدح فيه النسائي»⁽⁷⁾ .

وقال الحافظ أحمد بن الصديق المغربي في كتابه فتح الملك العلي : «وقال سلمة بن شبيب : سمعت اسماعيل بن أبي أويس يقول : ربما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم»⁽⁸⁾ .

(5) المستدرک علی الصحیحین ج 1 ، ص 93 .

(6) تهذيب الكمال للحافظ المزّي ، ج 3 ، ص 127 .

(7) مقدمة فتح الباري ، ص 388 (طبعة دار المعرفة) .

وعليه فاسماعيل بن أبي أويس متهم بوضع الحديث ، ومن الكذابين كما قال يحيى بن معين . كل ذلك مضافاً الى أن حديثه لم يرو في صحيح مسلم وسنن الترمذي وغيرهما من كتب الصحاح .
ويكفيها في شأن أبي أويس قول أبي حاتم الرازي في كتاب الجرح والتعديل حيث قال : «أبو أويس يكتب حديثه ، ولا يحتج به ، وليس بالقوي»⁽⁹⁾ .

كما نقل أبو حاتم عن يحيى بن معين : «أبو أويس ليس بحجة» .
فالرواية التي في سندها هؤلاء الرجلين ليست بصحيحة ، هذا إذا غضضنا الطرف عن مخالفتها للرواية الصحيحة الثابتة .

الأمر الجالب للانتباه هو أن الحاكم — الراوي للحديث — اعترف بضعف الرواية ، ولذا لم يتعرض لتصحيح سندها ، بل حاول تصحيح مضمونها بإيراد شاهد يؤيده . لكن الشاهد الذي أورده ضعيف السند أيضاً ، فلا يزيد هذه الرواية إلا ضعفاً وسقماً ، وإليك هذا الشاهد :

السند الثاني لنسخة «وستي»

روى الحاكم النيشابوري بسند سيأتي ذكره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ؛ كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض⁽¹⁰⁾

وقد رواه الحاكم بالسند التالي :

«اخبرنا أبو بكر بن اسحاق الفقيه ، أنبأنا محمد بن عيسى بن السكن الواسطي ، حدثنا داود بن عمرو الضبي ، حدثنا صالح بن موسى الطلحي ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة» .

وهذا النص مختلق كسابقه ، وفي سنده «صالح بن موسى الطلحي» ، الذي قال في حقه كبار علماء الرجال ما يلي :

قال يحيى بن معين : «ليس بثقة» .

وقال أبو حاتم الرازي : «ضعيف الحديث ، منكر الحديث جداً ، كثير المناكير عن الثقات» .

وقال النسائي : «لا يكتب حديثه ، ضعيف» . وقال في موضع آخر : «متروك الحديث»⁽¹¹⁾ .

(8) فتح الملك العلي ، ص 15 .

(9) الجرح والتعديل للرازي ج 5 ، ص 92 .

(10) المستدرک على الصحيحين ، ج 1 ، ص 93 .

(11) تهذيب الكمال ، ج 13 ، ص 96 .

وقال ابن حجر في تهذيب الكمال : «قال ابن حبان : كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، حتى يشهد المستمع لها أنها معمولة أو مقلوبة ، لا يجوز الاحتجاج به . وقال أبو نعيم : متروك ، يروي المناكير»⁽¹²⁾ .

وقال أيضاً في تقريب التهذيب : «صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة التيمي الكوفي متروك»⁽¹³⁾ .

وقال الذهبي في الكاشف : «حديثه ضعيف»⁽¹⁴⁾ .

بل إنَّ الذهبي في ميزان الاعتدال روى عنه النصّ المذكور وقال : من أحاديثه المنكرة⁽¹⁵⁾ .

السند الثالث لنسخة «وستي»

روى ابن عبد البر في كتاب التمهيد⁽¹⁶⁾ هذا النصّ بالسند التالي :

عبد الرحمن بن يحيى عن أحمد بن سعيد عن محمد بن ابراهيم الديبلي عن علي بن زيد الفرائضي عن الحنيني عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه .

يقول الإمام الشافعي في حقّ كثير بن عبد الله : «ذاك أحد الكذابين أو أحد أركان الكذب»⁽¹⁷⁾ . وسئل أبو داود عنه فقال : «كان أحد الكذابين»⁽¹⁸⁾ . وقال ابن حبان : «روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحلّ ذكرها في الكتب ولا الرواية إلاّ على جهة التعجب»⁽¹⁹⁾ .

وقال النسائي والدارقطني : «متروك الحديث»⁽²⁰⁾ . وقال أحمد : «منكر الحديث ليس بشيء»⁽²¹⁾ . وهو رأي ابن معين أيضاً .

والعجب كلّ العجب من ابن حجر في كتاب تقريب التهذيب في ترجمة كثير بن عبد الله ، حيث وصفه بالضعف فقط ، وقال : «أفرط من نسبه إلى الكذب»⁽²²⁾ ، مع أنّ مقدّم علم الرجال وصفوه بالكذب والوضع ، بل إنَّ الذهبي وصف حديثه بأنه ضعيف وواهي .

النقل الفاقد للسند لنسخة «وستي»

(12) تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج 4 ، ص 355 .

(13) تقريب التهذيب لابن حجر ، ج 1 ، ص 433 ، الترجمة رقم 2891 .

(14) الكاشف للذهبي ، الترجمة رقم 2421 .

(15) انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ج 2 ، ص 302 .

(16) التمهيد ، ج 24 ، ص 331 .

(17) تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج 8 ، ص 377 . تهذيب الكمال ، ج 24 ، ص 138 .

(18) المصدر السابق .

(19) المحروحين لابن حبان ، ج 2 ، ص 221 .

(20) تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج 8 ، ص 377 .

(21) المصدر السابق .

(22) تقريب التهذيب لابن حجر ، ج 2 ، ص 39 .

روى مالك في الموطأ هذا النص بشكل مرسل ومن دون إسناد ، والكل يعلم أن الحديث الفاقد للسند فاقد للاعتبار .

وبهذا التحقيق تبين أن النص الذي ورد فيه «وستي» بدل «و أهل بيتي» ، من أكاذيب الوضّاع والمرتبطين بالبلاط الأموي ، و أنّهم وضعوه في قبال الحديث الثابت عن النبي الكريم(صلى الله عليه وآله). وعليه فيجب على الخطباء و أصحاب المنابر أن يتركوا النص الذي لم يثبت عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، ويذكروا ويبيّنوا للناس النص الثابت عنه (صلى الله عليه وآله) ، الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه بلفظ : «أهل بيتي» ، والترمذي بلفظ : «عترتي أهل بيتي» ، فعلى طالبي العلم والمهتمين بتعلّم الحديث أن يميّزوا بين الحديث الصحيح والسقيم .

وأشير في الختام إلى أن المقصود من قوله(صلى الله عليه وآله) : «أهل بيتي» هو ذريته الطاهرة؛ كفاطمة الزهراء والحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين ؛ حيث روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي(صلى الله عليه وآله) قال :

نزلت هذه الآية على النبي(صلى الله عليه وآله) : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)⁽²³⁾ في بيت أم سلمة ، فدعا النبي(صلى الله عليه وآله)فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء ، وعليّ خلف ظهره فجلّله بكساء ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال أنتِ عليّ مكانك ، وأنتِ إلى خير⁽²⁴⁾ .

معنى حديث الثقلين

جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) العترة الطاهرة قريناً للقرآن ، ووصفهما معاً بالحجة الإلهية على الأمة ، ومن هنا يمكن أن نستنتج هاتين النتيجةين :

1- إنّ أقوال العترة النبوية حجة كالقرآن ، فلا بد من التمسك بأقوالهم فيما يرجع الى الجهة الدينية من الحياة ؛ سواء في الجانب العقائدي أو الفقهي أو غيرها ، ومع وجود دليل من العترة لا يرجع الى غيرهم .

فالمسلمون وإن اختلفوا بعد رحيل النبي(صلى الله عليه وآله) في أمر الخلافة واعتمد كل فريق منهم دليلاً ومنطقاً خاصاً ، إلا أنه لا ينبغي الاختلاف في لزوم الرجوع الى أهل البيت بعد اتفاق الجميع على صحة حديث الثقلين واعتبار القرآن والعترة المرجعان في الأحكام والعقائد . ومن هنا فإنّ الأمة الإسلامية لو عملت بهذا الحديث الشريف فإن دائرة الخلاف بين المسلمين ستضيق وتحدّد ، ويسود الاتفاق هذه الأمة المرحومة .

(23) الأحزاب : 33 .

(24) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 328 ، ح 3875 .

2 - لما كان القرآن الكريم مصوناً عن الخطأ والاشتباه بمقتضى قوله تعالى : (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)⁽²⁵⁾ ، فعديل القرآن — وهو العترة — مصون من الخطأ أيضاً ؛ لأنه لا يصح جعل المخطئ عدل المصون عن الخطأ وهو القرآن ، بلا ريب .

وعليه فهذا الحديث دليل على عصمة أهل البيت من جميع أنواع الخطأ والانحراف . لكن ينبغي الالتفات إلى أن العصمة تختلف عن النبوة ولا تلازم بينهما ، فيمكن أن يكون الشخص معصوماً وليس نبياً ، كمرثم (عليها السلام) فانها معصومة من الذنوب كما في قوله تعالى : (يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)⁽²⁶⁾ ومع ذلك هي ليست نبيّة .

(25) فصلت : 42 .

(26) آل عمران : 42 .

ما المقصود من الشيعة ؟

الجواب :

الشيعة في اللغة العربية بمعنى : الأتباع ، وفي الذكر الحكيم : (وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَ إِبْرَاهِيمَ)⁽²⁷⁾ ; أي أنّ من أتباع نوح إبراهيم .

والشيعة في اصطلاح المسلمين تطلق على فرقة إسلامية تعتقد أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) عيّن خليفة المسلمين قبل رحيله من هذا العالم ، وقد بيّن ذلك في مواطن متعدّدة أحدها اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة من السنة العاشرة للهجرة والمعروف بـ «يوم الغدير» حيث صرّح بتعيينه خليفة أمام جمع عظيم من المسلمين و أنّه المرجع السياسي والعلمي والديني بعده(صلى الله عليه وآله) .
توضيح ذلك : أنّ المسلمين من المهاجرين والأنصار صاروا على طائفتين بعد النبي(صلى الله عليه وآله) هما :

1 - الفرقة التي تعتقد أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) لم يترك أمر الخلافة هكذا ، بل عيّن خليفة ووليّاً يليه ، وهو أوّل المؤمنين به عليّ بن أبي طالب .

وقد ضمّت هذه الفرقة طائفة من المهاجرين والأنصار ، وعلى رأسهم وجوه بني هاشم وجماعة من كبار الصحابة ؛ كسلمان و أبي ذر والمقداد وخباب بن الأرت و أضراهم ، وقد ثبتوا على هذه العقيدة ، وعرفوا بـ «شيعة علي» . وهذا الاسم مستلهم من قول رسول الله(صلى الله عليه وآله) عندما أشار لعلي وقال :

أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : كنّا عند النبي(صلى الله عليه وآله) فأقبل عليّ فقال النبي(صلى الله عليه وآله) : والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»⁽²⁸⁾ .

وعلى هذا فالشيعة جماعة من مسلمي صدر الإسلام اعتقدوا أنّ الخلافة منصوبة ، عرفوا بهذا الاسم ، ولا يزالون إلى يومنا هذا على هذه العقيدة وعلى أتباع أهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله) .
وبهذا البيان تتضح منزلة الشيعة ، كما يتضح فساد قول بعض الوضّاعين أو الجهّال القائلين بأن التشيع وليد العصور المتأخرة . ولأجل معرفة تأريخ الشيعة بنحو موسّع ومفصّل راجع الكتب التالية : أصل الشيعة وأصولها ، المراجعات ، أعيان الشيعة .

2 - الفرقة التي تعتقد أنّ الخلافة تابعة للانتخابات وآراء المسلمين هي التي تحدّد الخليفة ، ومن هنا عقدوا البيعة مع أبي بكر ، وقد عرفوا بعد ذلك بـ «أهل السنّة» .

(27) الصفات : 83 .

(28) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي، ج 6 ، ص 379 ذيل الآية : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) .

والذي انتهت اليه الأمة الإسلامية هو حصول هاتين الطائفتين ، لاختلافهما في مسألة الخلافة ، مع اشتراكهما في كثير من الأصول والفروع ، وقد اتضح أنّ أساسهما هو المهاجرون والأنصار .

لماذا تقولون إنّ عليّاً (عليه السلام) وصيّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وخليفته ؟

الجواب :

أشرنا — في الجواب على السؤال السابق — إلى أنّ الشيعة تعتقد بوضوح أنّ الخلافة بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) منصوبةٌ ، وتعتقد أنّ الإمامة بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) تساوق النبوة من جهات عديدة ، فكما أنّ تعيين النبيّ (صلى الله عليه وآله) من الله ، كذلك تعيين وصيّهِ وخليفته يجب أن يكون من الله جلّ وعلا .

وتاريخ حياة نبينا (صلى الله عليه وآله) شاهد لما نقول ؛ حيث نراه (صلى الله عليه وآله) عرف عليّاً للناس في مواطن متعدّدة بعنوان الولي والخليفة من بعده ، ونحن نكتفي بذكر ثلاث منها :

1 - في بدء البعثة المباركة ، وعندما أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) بدعوة عشيرته للتوحيد بقوله تعالى : (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)⁽²⁹⁾ ، خاطب الحاضرين بقوله :

إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأياكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟

فأحجم القوم عنها جميعاً ، إلّا عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، فعندها التفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى الحاضرين وقال :

إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا⁽³⁰⁾

2 - قال النبيّ (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) في غزوة تبوك :

أفلا ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ؟ !⁽³¹⁾

يعني أنّه كما كان هارون (عليه السلام) الوصيّ المباشر ومن دون فصل لموسى (عليه السلام) ، كذلك أنت وصيي وخليفتي .

3 - في السنة العاشرة من الهجرة وعند رجوع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حجّة الوداع وفي منطقة «غدير خم» و أمام حشود بشرية عظيمة من المسلمين عرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً بعنوانه وليّاً للمسلمين ، فقال :

«من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»

(29) الشعراء : 214 .

(30) تاريخ الطبري ، ج 2 ، ص 63 . الكامل في التاريخ ، ج 2 ، ص 40 — 41 . مسند أحمد ، ج 1 ، ص 111 . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 210 — 212 .

(31) سيرة النبي (ص) لابن هشام ، ج 4 ، ص 947 . السيرة النبوية لابن كثير ، ج 4 ، ص 12 .

الأمر الجالب للانتباه هو قول النبي (صلى الله عليه وآله) قبل ذلك وفي أول خطبته حيث قال :

«أَلَسْتُ أُولَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟»

فأجابه المسلمون أجمع بقولهم : بلى .

وينبغي القول بأن مراد النبي (صلى الله عليه وآله) من قوله : «مولاه» هو أولويته بالمؤمنين وولايته عليهم و أنه صاحب الاختيار التام فيهم . ويمكن أن نستنتج أنه أثبت بذلك لعلي (عليه السلام) نفس الأولوية الثابتة له (صلى الله عليه وآله) .

وفي هذا اليوم قال حسان بن ثابت أبياته التي ذكر فيها هذه الحادثة التاريخية المهمة فقال :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم وأسمع بالرسول مناديا
فقال فمن مولاكم ونبيكم؟ فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فأنني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذي عادى علياً معاديا⁽³²⁾

وحديث الغدير من الأحاديث المتواترة بين المسلمين وقد رواه علماؤنا وحدود ثلاثمئة وستون عالماً من علماء أهل السنة⁽³³⁾ ، وتنتهي أسانيدنا الى مئة وعشر من الصحابة . وقد كتب ستة وعشرون من كبار علماء المسلمين كتباً في أسناد وطريق حديث الثقلين . وقد جمع أبو جعفر الطبري — المؤرخ المعروف — أسناد وطرق هذا الحديث في جزئين كبيرين . وللإطلاع على تفصيل أكثر في هذا المجال راجع كتاب الغدير .

(32) الغدير ، ج 2 ، ص 34 . المناقب للخوارزمي ، ص 80 . تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي ، ص 20 . كفاية الطالب ، ص 17 .

(33) انظر — كنموذج لذلك — كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر (الطبعة الثانية، طبع مصر) الفصل 2، ص 122 .

السؤال الرابع

من هم الأئمة ؟

الجواب :

صرّح النبيّ الكريم (صلى الله عليه وآله) في حياته الشريفة أنّ الخلفاء بعده اثنا عشر خليفة ، كلّهم من قريش ، و أنّ عزة الإسلام في ظلّ خلافتهم ، فروى جابر بن سمرة :

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ، ثمّ قال كلمة لم أفهمها ، فقلت لأبي: ما قال ؟ فقال: كلّهم من قريش⁽³⁴⁾

ولا نجد في تاريخ الإسلام اثني عشر خليفة حافظين لعزة الإسلام سوى الاثني عشر خليفة الذين يعتقد بهم الشيعة ، وذلك أنّ هؤلاء الخلفاء الذين ذكرهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) جاؤوا بعده مباشرة ومن دون فصل . ومن هنا فلا بدّ من معرفتهم . وإذا لاحظنا الخلفاء — عدا الخلفاء الأربعة والذين يطلق عليهم عند أهل السنّة عنوان «الخلفاء الراشدون» — فلا نجد سبب عزة للإسلام ، وتاريخ حياة خلفاء بني أميّة وبني العباس يشهد لما نقول .

و أمّا أئمتنا الاثنا عشر فإنّهم جميعاً مظاهر الورع والتقوى في زمانهم وعصرهم ، والحافظين لسنة نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله) ، بل كانوا محطّ أنظار الصحابة والتابعين ومن تلاهم ، بل قد شهد المؤرخون بعلمهم ووثاقتهم .

وهؤلاء الأئمة الاثنا عشر هم:

- 1 — علي بن أبي طالب .
- 2 — الحسن بن علي (الجنبي) .
- 3 — الحسين بن علي .
- 4 — علي بن الحسين (زين العابدين) .
- 5 — محمد بن علي (الباقر) .
- 6 — جعفر بن محمد (الصادق) .
- 7 — موسى بن جعفر (الكاظم) .
- 8 — علي بن موسى (الرضا) .
- 9 — محمد بن علي (النقيّ) .
- 10 — علي بن محمد (النقيّ) .
- 11 — الحسن بن علي (العسكري) .
- 12 — الإمام المهدي (القائم) ،

والذي روى المحدثون في شأنه روايات متواترة عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) وآله (المهدي الموعود) .

ولأجل التعرّف والاطلاع على حياة هؤلاء القادة العظماء — والذين وردت أسماءهم على لسان النبيّ (صلى الله عليه وآله) — راجع الكتب التالية :

- 1 - تذكرة خواصّ الأئمة . 2 - كفاية الأثر . 3 - وفيات الأعيان .
- 4 - أعيان الشيعة (للسيد محسن الأمين) وهو أجمع هذه الكتب .

(34) صحيح مسلم ، ج 6 ، ص 3 .

لِمَ تَعْتَظُوا آلَ عَلِيٍّ عِنْدَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ؟

الجواب :

إنَّ من المسلمّات والقطيّات هو أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) علّم المسلمين كيفيّة الصلاة عليه ، فعندما نزلت الآية الكريمة : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)⁽³⁵⁾ سأله المسلمون عن كيفيّة الصلاة عليه ، فأجابهم :

« لا تُصَلُّوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ الْبِتْرَاءِ »

فسألوه ثانيًا : كيف نصليّ عليك يا رسول الله ؟ فقال : قولوا :

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ»⁽³⁶⁾ .

ولآل الرسول منزلة ذكرها الشافعي في أبياته المعروفة حيث قال :

يا أهل بيت رسول الله حبكم	فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم	من لم يصل عليكم لا صلاة له ⁽³⁷⁾

(35) الأحزاب : 56 .

(36) الصواعق المحرقة ، الباب 11 ، الفصل الأول ، ص 146 (طبعة مكتبة القاهرة) . وورد نظيره في الدر المنثور ، ج 5 ، ص 216 ، تفسير الآية 56 من سورة الأحزاب نقلًا عن جملة من المحدثين وأصحاب الصحاح كالبخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه وأحمد وعبد الرزاق وابن ابي شيبة وابن مردويه عن كعب بن عجرة عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) . وفي خصائص الوحي المبين للحافظ ابن البطريق ، ص 207 : (لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء . فقالوا : وما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون : «اللهم صلّ على محمد» وتمسكون ، بل قولوا : «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد» .

(37) الصواعق المحرقة ، الباب 11 ، ص 148 . الاتحاف (للشراوي) ، ص 29 . مشارق الأنوار (للحمزاوي المالكي) ، ص 88 . المواهب (للزرقاني) و الاسعاف (للصبان) ، ص 119 .

لم تسمون أنمّتكم بالمعصومين؟

الجواب :

الأدلة على عصمة أئمتنا — والذين هم جميعاً أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) — متعددة ، نكتفي بذكر أحدها فقط .

روى علماء المسلمين — سنة وشيعة — عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله في آخر أيام حياته الشريفة :

إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وأهل بيتي ، وإتھما لن يتفرقا حتى يرِدَا عليّ الحوض⁽³⁸⁾

ومما لا ريب فيه ولا شكّ يعتريه أنّ القرآن الكريم مصون عن التحريف والخطأ ، إذ لا يمكن سريان الاشتباه والخطأ إلى الوحي الإلهي، مع أنّ الموحى هو الله جل وعلا ، والحامل للوحي هو جبرئيل (عليه السلام)، والمتلقي له نبينا الكريم عليه وآله صلوات المصلين، فكيف يعقل وقوع الاشتباه والخطأ في مثله مع وضوح عصمة الجميع، بل عصمتهم أحلى من الشمس في رابعة النهار؟! كما أنّ عقيدة جميع المسلمين في النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه مصون من الاشتباه والخطأ في مقام تلقي الوحي وفي مقام تبليغه.

فلما كان للكتاب العزيز هذه الصيانة والعصمة فمن الواضح أنّها ثابتة لأهل بيت النبي أيضاً؛ وذلك أنّ هذا الحديث الشريف جعلهم عدلاً للقرآن وقريناً مساوياً له في مقام هداية الناس وقيادتهم، ومن لوازم هذه المقارنة والتساوي هو استواءهما من ناحية العصمة وعدم الخطأ .

وبعبارة أخرى: لا يصحّ جعل شخص أو أشخاص غير معصومين كقريناً لما لا يعتريه الخطأ والزلل .

ومن أوضح الأدلة على عصمتهم قوله (صلى الله عليه وآله):

«وإتھما لن يتفرقا حتى يرِدَا عليّ الحوض»

فإذا أمكن وقوع الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) في الخطأ ووقعوا فيه، فإنه يلزم افتراقهم عن الكتاب — الذي لا يعتريه الخطأ والزلل — وسيكون سبيلهم غير سبيل القرآن، مع أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) نفي ذلك بشدة .

نعم ، المراد من «أهل البيت» في الحديث الشريف ليس هو جميع من انتسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نسباً أو سبباً؛ لوضوح عدم كون الجميع مصوناً عن الخطأ . وعلى هذا فالمتّصف بهذه الصفة

(38) المستدرک علی الصحیحین (للحاكم النيشابوري) ، ج 3 ، ص 148 ، الصواعق المحرقة ، الباب 11 ، الفصل الأول ، ص 149 . وورد هذا

المضمون في مسند احمد بن حنبل ، ج 5 ، ص 182 و 189 . كنز العمال ، ج 1 ، ص 186 ، ح 944 .

والمُتَحَلِّي بِهَذَا الْمَقَامِ إِنَّمَا هُوَ جَمَاعَةٌ خَاصَّةٌ مِنْ عَتَرَتِهِ، وَهُمْ أُنْمَتْنَا (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الَّذِينَ هُمْ مَشَاعِلُ
الْهُدَايَةِ لِأُمَّةٍ جَدَّهِمْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَالْحَافِظِينَ لِسُنَّتِهِ، وَالْحَامِينَ لِشَرِيعَتِهِ.

لم تشهدون بالولاية لعليّ في الأذان ؟

الجواب :

من الجدير مدّ النظر إلى الأمور التالية قبل الجواب على هذا السؤال :

1- ذكر فقهاء الشيعة أجمع في كتبهم الفقهيّة — الاستدلاليّة وغيرها — أنّ الشهادة بالولاية لعليّ (عليه السلام) ليست جزءاً للأذان والإقامة، وأنّه لا يجوز ذكرها بعنوان الجزئيّة لهما.

2- إنّ عليّاً في النظرة القرآنيّة أحد أولياء الله، بل صرّحت آية الولاية بولايته على المؤمنين، حيث تقول :

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (39).

وقد صرّحت الروايات الصحيحة في كتب الفريقين بأنّ الآية الشريفة نزلت في حقّ عليّ عندما تصدّق بخاتمته على الفقير أثناء الركوع. وقد نظم الشاعر المعروف حسّان بن ثابت هذه الواقعة في أبيات له بعد نزول هذه الآية في شأن عليّ، فقال :

وكلّ بطيء في الهدى ومسارع

وما المدح في ذات الإله بضايح

فدتك نفوس القوم يا خير راع

ويا خير شار ثمّ يا خير بايع

وبيّنها في محكمات الشرايع (40)

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي

أيذهب مدحي والمحبين ضايحاً!

فأنت الذي أعطيت إذ أنت راع

بخاتمك الميمون يا خير سيد

فأنزل فيك الله خير ولاية

3- قال النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (41)

أي أنّ حقيقة كلّ عمل رهينة بنية العامل .

وعلى هذا الأساس نقول : ما المانع من ذكر الشهادة بالولاية لعليّ (عليه السلام) إلى جانب الشهادة بالرسالة إذا لم يُقصد بها الجزئيّة، مع وضوح أنّها أصل قرآني صرّح به الذكر الحكيم !؟

بقي أمر ينبغي الإشارة إليه، وهو أنّ إضافة جملة إلى الأذان أو حذف جملة منه إذا لم يكن مستحسنّاً فما هو جوابكم على الأمرين التاليين :

(39) المائدة : 55 .

(40) الغدير، ج 2، ص 58 . المناقب للموفق الخوارزمي، ص 265 .

(41) تهذيب الأحكام، ج 1، ص 83، ح 218 . صحيح البخاري، ج 1، ص 2 . سنن ابن ماجه، ج 2، ص 1413، ح 4227 .

1- يشهد التأريخ الصحيح بأن جملة «حيّ على خير العمل» كانت من مقاطع الأذان و أجزاءه⁽⁴²⁾ ، وفي زمان الخليفة الثاني رُفعت هذه الجملة بسبب تصوّر الخليفة أنّ الناس سيتخلفون عن الجهاد بسبب سماعهم هذه الجملة وفهمهم منها أفضلية الصلاة على الجهاد ، فثلاً يتخلف المسلمون عن الجهاد رُفعت هذه الفقرة وبقي الأذان على تلك الصورة إلى يومنا هذا .

2- لم تكن جملة «الصلاة خير من النوم» جزءاً من الأذان على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، وإّما أضيفت إليها فيما بعد⁽⁴³⁾ ، ولهذا قال الشافعي في كتاب الأم :
«أكره في الأذان الصلاة خير من النوم؛ لأنّ أبا محذورة لم يذكره»⁽⁴⁴⁾ .

(42) كنز العمال ، كتاب الصلاة ، ج 8 ، ص 342 نقلاً عن الطبراني : «كان بلال يؤذن بالصبح فيقول : حيّ على خير العمل» . سنن

البيهقي ، ج 1 ، ص 424 و 425 . الموطأ لمالك ، ج 1 ، ص 93 .

(43) كنز العمال ، كتاب الصلاة ، ج 8 ، ص 357 ، ح 23251 و 23252 .

(44) نقلاً عن دلائل الصدق ، ج 3 ، القسم الثاني ، ص 97 .

من هو المهدي ولماذا تنتظرونه ؟

الجواب :

مما اتفقت عليه الشرائع السماوية هو مجيء المصلح العالمي في آخر الزمان ، وهذا ما يعتقد به النصارى واليهود فضلاً عن المسلمين، والجميع في حال انتظار هذا العادل الذي سيملا الأرض عدلاً . وبمراجعة كتب العهد القديم والعهد الجديد تتضح هذه الحقيقة بشكل أكثر⁽⁴⁵⁾ .

وفي هذا المضممار روى المحدثون عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله:

«لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»⁽⁴⁶⁾ .

فهذا المصلح الذي ينتظره الجميع مما اتفقت عليه الأديان المختلفة — كما مرّت الإشارة إليه — كما وردت فيه روايات كثيرة من طرق الفريقين بل في صحاح ومسانيد أهل السنة روايات كثيرة في حقه، وقد حرر جملة من المؤلّفين والمحققين كتباً ورسائل كثيرة تعنى به⁽⁴⁷⁾ .

وقد ذكرت هذه الروايات أوصافه بنحو بحيث تنطبق بدقّة على الثاني عشر من أئمة أهل البيت وهو المهدي ابن الإمام الحسن العسكري(عليهما السلام)⁽⁴⁸⁾ ، ففي هذه الروايات أنّ اسمه كاسم النبي(صلى الله عليه وآله) ، وأنّه الوصي الثاني عشر ، وأنّه من ذرية الحسين بن عليّ بن أبي طالب(عليهم السلام) .

هذا ، وقد ولد المهدي (عليه السلام) في السنة 255 بعد الهجرة ، ولا زال حيّاً ، يعيش بيننا لكننا لا نعرفه . علماً أنّ طول عمره بهذا المقدار لا ينافي شيئاً مما ثبت علمياً ، ولا شيئاً مما ثبت بالنقل . بل يحاول العلم في يومنا هذا إطالة العمر الطبيعي للإنسان ، ويرى أنّه ممكن إذا ما أمكن الحدّ من تأثير بعض العوامل الدخيلة في إلحاق الضرر بالانسان . ومن جانب آخر فقد ذكر التأريخ أسماء جملة من المعمرين ، بل إنّ القرآن الكريم صرّح بذلك حيث قال في شأن نوح(عليه السلام) :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا)⁽⁴⁹⁾ .

وقال في شأن يونس(عليه السلام) :

(فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)⁽⁵⁰⁾ .

(45) كتب العهد القديم هي : مزامير داود(عليه السلام) ، المزمور 96 و 97 ، وكتاب النبي دانيال(عليه السلام) ، الباب 12 .

(46) سنن أبي داود ، ج 2 ، ص 310 ، ح 4283 . ينابيع المودة ، ص 432 . نور الأبصار ، الباب 2 ، ص 154 .

(47) من هذه الكتب : البيان في أخبار صاحب الزمان ، تأليف : محمد بن يوسف الكنجي الشافعي . والبرهان في علامات مهدي آخر الزمان ، تأليف : عليّ بن حسام الدين المعروف بالمتقي الهندي . والمهديّ والمهدوية ، تأليف : أحمد أمين .

و أما علماء الشيعة فلهم تأليفات كثيرة في هذا المجال يعسر احصاؤها وعدّها ، ككتاب الملاحم والفتن و ...

(48) ينابيع المودة ، الباب 76 ، في المناقب المروية عن جابر بن عبد الله .

(49) العنكبوت : 14 .

(50) الصافات : 143 — 144 .

كما أنّ الخضر وعيسى (عليهما السلام) — من خلال الرؤية القرآنيّة — أحياء فعلاً ، بل عليه اتّفاق جميع المسلمين .

إن كانت الشيعة على حق فلماذا هم أقلية بين المسلمين ؟

الجواب :

لا يمكن معرفة الحق وتمييزه عن الباطل من خلال كثرة الاتباع وقتلتهم ، فنسبة المسلمين إلى غيرهم في عصرنا الحاضر هي حدود الخمس أو السدس ، كما تشكل أكثرية الشرق الأقصى عبدة الأوثان وعبدة الأبقار وغيرهما من منكري ما وراء المادة .

كما أن نفوس الصين التي تجاوزت المليار نسمة تتشكل من الشيوعيين الملحدون . وكذا فإن نفوس الهند التي هي حدود المليار نسمة تتشكل من الهندوس وعبدة الأوثان .

كما لا تعدد الأكثرية علامة للحق ، بل إن القرآن الكريم ذم الأكثرية في أغلب الأحيان ، ومدح الأقلية في مواضع عديدة ، وإليك نموذجاً من تلك الآيات :

- 1- (وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (51) .
- 2- (إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّفُونَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (52) (53) .
- 3- (وَ قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ) (54) .

وعليه فينبغي للإنسان الطالب للحق أن لا يترك عقيدته لقلّة الأتباع ، كما لا ينبغي أن يباهي الآخرين بكثرة الأتباع ، وإنما اللازم عليه أن يستنير بنور عقله في معرفة الحق من الباطل .

ولهذا قال أمير المؤمنين(عليه السلام) للحارث بن حوط الليثي عندما سأله عن كثرة مخالفه في حرب الجمل ، فقال : أترى أن طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل ؟ ! فقال علي(عليه السلام) :

« يا حار ، أنت ملبوس عليك ، إن الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال ، وبأعمال الظن ، اعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف أهله» (55) .

فيجب على المسلم أن يبحث المسألة بحثاً علمياً ، ويحللها تحليلاً منطقياً ، ويجعل مشعل هدايته قوله

تعالى :

(وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (56) .

(51) الأعراف : 17 .

(52) الأنفال : 34 .

(53) وغيرهما من الآيات الكثيرة والتي منها : (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة : 100) ، (وَ أَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران : 110) ، (وَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (المائدة : 103) ، (وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (الأنعام : 37) ، (وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) (الأنعام : 111) ، (وَ إِنَّا وَحَدَّثْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) (الأعراف : 102) ، (وَ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) (التوبة : 8) ، (وَ إِن تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (الأنعام : 116) ، (فَمَا وَحَدَّثْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (الذاريات : 36) .

(54) سبأ : 13 .

(55) انساب الاشراف للبلاذري، ص 238 . فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، ج 1 ، ص 272 و ج 4 ، ص 23 .

(56) الإسراء : 36 .

ومع الغض عن ذلك كلّه فإن الشيعة وإن كانوا لا يساؤون أهل السنّة عدداً ، لكن إذا ما أُجريت إحصائية سكانية لنفوس المسلمين فإنّه سيتبين أنّ نسبتهم إلى جميع المسلمين هي الربع ، و أنّهم يسكنون في أغلب المناطق التي يسكنها المسلمون في بقاع العالم المختلفة . وقد عاش — على مرّ العصور — جملة من العلماء والكتّاب المعروفين والذين لهم كتب معروفة بين الشيعة .

من الجدير بالذكر أنّ المؤسس لجملة من العلوم هم من الشيعة ، ومنهم :

أبو الأسود الدؤلي (مؤسس علم النحو) .

الخليل بن أحمد الفراهيدي (مؤسس علم العروض) .

معاذ بن مسلم بن أبي سارة (مؤسس علم الصرف) .

أبو عبد الله محمد بن عمران الكاتب الخراساني (أحد المقدمين في علم البلاغة) .

وللاطلاع على التآليف الكثيرة لعلماء الشيعة والتي يعسر إحصاؤها راجع كتاب «الذريعة إلى

تصانيف الشيعة» ، وللتعرّف على الشخصيات والوجوه الشيعية المعروفة راجع كتاب «أعيان

الشيعة» ، ولمعرفة تاريخ الشيعة الميمون راجع كتاب «تاريخ الشيعة» .

ما هي الرجعة ، ولماذا تعتقدون بها ؟

الجواب :

في اللغة : «الرَّجْعَةُ : الرجوع» ، وفي الاصطلاح : «رجوع جمع من الناس بعد الموت وقبل يوم القيامة إلى الحياة الدنيا» وتحصل عند ظهور الإمام المهدي(عليه السلام) ، وهذه الرجعة لا تنافي العقل ولا النقل . فنجد أنّ حقيقة الإنسان — في الرؤية الإسلامية والشرائع السماوية الأخرى — هي روحه ، والتي قد يعبر عنها بالذات أيضاً ، ولا تفنى هذه الروح بفناء البدن ، بل تبقى حية ، وتدوم حياتها الخالدة .

ومن جانب آخر فإن الباري سبحانه وتعالى — وكما يصرح الكتاب العزيز — قادر مطلق ، وليس لقدرته حدّ تنتهي إليه .

فتبين من خلال هاتين المقدمتين أنّ الرجعة ممكنة عقلاً ، وذلك أنّ العقل إذا تأمل قليلاً أذعن أنّ الرجعة أسهل بكثير من أصل الحلقة ، فالباري سبحانه الذي ابتدع وفطر الخلائق من العدم قادر على إرجاعهم بلا ريب .

وأما من أفق النقل ، فيمكن أن نرى نماذج من الرجعة في الأمم السالفة ، حيث يصرح القرآن الكريم في هذا المجال بقوله :

(وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)
ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (57) .

وقال في موضع آخر عن لسان عيسى(عليه السلام) :

(وَ أُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) (58) .

بل إنّ القرآن الكريم مضافاً إلى تصريحه بإمكان الرجعة ، يؤيد وقوعها في أناس ماتوا ، فذكر في آيتين رجوع أقوام إلى الدنيا بعد رحلتهم عنها وقبل يوم القيامة ، والآيتان هما :

(وَ إِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (82) وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) (59) .

ولنذكر مقدمة ليتضح الاستدلال بالآيتين الشريفتين على الرجعة قبل يوم القيامة ، وهي من أمرين :

(57) البقرة : 55 و 56 .

(58) آل عمران : 49 .

(59) النمل : 82 و 83 .

1- قال المفسرون إنّ الآيتين الكريمتين تتحدّثان حول يوم القيامة ، وأنّ الآية الأولى تبين أحد العلائم التي تكون قبل يوم القيامة ، كما يقول جلال الدين السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» ، حيث أخرج عن ابن أبي شيبة عن حذيفة قال :
«تخرج الدابة مرتين قبل يوم القيامة ...»⁽⁶⁰⁾ .

2- لا ريب أنّه في يوم القيامة يحشر الناس جميعاً ، لا طائفة معينة من كلّ أمة ، ولهذا تقول الآية الكريمة :

(ذَلِكَ يَوْمٌ مَّحْجُوعٌ لَهُ النَّاسُ)⁽⁶¹⁾ ⁽⁶²⁾ .

وقال في موضع آخر :

(وَ يَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَ حَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا)⁽⁶³⁾ .

وعليه فإنّ الناس جميعاً محشورون يوم القيامة ، ولا يختصّ الحشر بقوم دون آخرين .

3- إنّ الآية الثانية من الآيتين المذكورتين تصرّح بأنه يوجد حشرٌ لقوم معينين دون عموم الناس حيث تقول :

(وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) .

وهي صريحة في عدم حشر جميع الناس .

النتيجة :

اتضح جيداً من هذه المقدمات الثلاث أنّ حشر جمع خاصّ من الناس وهم المكذّبون بآيات الله — كما صرحت به الآية الكريمة — سيكون قبل يوم القيامة؛ وذلك أنّ الحشر في القيامة سيعمّ الجميع بلا ريب ، ولا يختصّ بقوم دون آخرين .

وبهذا البيان اتّضح أنّه سترجع طائفة من الناس بعد الموت وقبل القيامة إلى هذه الحياة الدنيا ، وهي الرجعة التي نقول بها .

ومن هنا نجد أنّ أهل البيت (عليهم السلام) — والذين هم قرين القرآن الكريم والمفسرين للكتاب العزيز — بيّنوا ذلك بوضوح . ورعاية للاختصار ننقل إليك نموذجين من كلماتهم في هذا المجال :

«الطار ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن محمد بن الحسن الميثمي ، عن مثنى الحنّاط قال : سمعت

أبا جعفر (عليه السلام) يقول : أيام الله ثلاثة : يوم يقوم القائم ، ويوم الكرّة ، ويوم

القيامة»⁽⁶⁴⁾ .

(60) الدر المنثور ، ج 5 ، ص 117 .

(61) هود : 103 .

(62) فسّر السيوطي اليوم بـ «يوم القيامة» ، (انظر : الدر المنثور ، ج 3 ، ص 349) .

(63) الكهف : 47 .

وقال الصادق (عليه السلام) :

«ليس منا من لم يؤمن بكرتنا»⁽⁶⁵⁾ .

ومن المناسب للمقام ذكر الأمرين التاليين :

1- فلسفة الرجعة

عند التأمل في أهداف الرجعة نجد أن من أهدافها ما يلي :

- 1- لبيان عظمة الإسلام الحقيقي ، وإبراز حور الكفر .
- 2- لجزاء المؤمنين والمحسنين ، وعقوبة الكافرين والظالمين .

2- الفرق الجوهرية بين الرجعة و التناسخ

تجيب الإشارة إلى أن الاعتقاد بالرجعة — في عقيدة الشيعة — لا يلازم الاعتقاد بالتناسخ ؛ وذلك أن أساس القول بالتناسخ مبني على إنكار القيامة ، وأن العالم في حالة تكرار مستمرة ، فكلّ جيل ينسخ الجيل السابق عليه ، وهكذا . وعلى أساس هذا النظرية ترجع الروح الانسانية بعد الموت إلى هذا العالم وتحلّ في بدن آخر ، فإن كانت الروح صالح انتقلت إلى بدن يريحها بالسيرة والأعمال ، وإن كانت الروح كافر انتقلت إلى بدن يؤذيها بالسيرة والأعمال ، وهذا الرجوع بمنزلة الحساب لها .

و أما القائلين بالرجعة فهم يعتقدون بوجود الحساب والقيامة ؛ تبعاً للشريعة المقدّسة . ومن جانب آخر فإنّهم يعتقدون باستحالة انتقال الروح المنفصلة عن بدن معيّن إلى بدن آخر . وإنما يعتقدون رجوع جمع من الناس إلى الحياة الدنيا بعد الموت وقبل يوم القيامة .

(64) بحار الأنوار : ج 7 ، ص 61 ، ح 13 نقلاً عن الخصال .

(65) من لا يحضره الفقيه ، ج 3 ، ص 458 ، ح 4583 .

ما هي الشفاعة التي تعتقدون بها ؟

الجواب :

الشفاعة من الأصول الإسلامية المسلّمة ، والتي تلقّتها جميع الفرق الإسلامية بالقبول؛ تبعاً للوارد في الآيات الكريمة والروايات الشريفة . نعم اختلفوا في آثارها .
وحقيقة الشفاعة أن يطلب الإنسان الوجيه عند الله المغفرة للمذنب من البارئ سبحانه ، أو يطلب منه علوّ الدرجات لشخص آخر . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :
«أُعْطِيَتْ حِمْسًا... وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ فَادْخَرْتُهَا لِأُمَّتِي فَهِيَ لِمَنْ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»⁽⁶⁶⁾ .

تقييد الشفاعة

الذي يرى الشفاعة من أفق القرآن يجد أنّها بمعناها المطلق ومن دون أي قيد مردودة ، وأنّ الشفاعة المؤثرة هي ما كانت بالصفة التالية :

1- أن يكون الشفيع مأذوناً في الشفاعة من الله سبحانه ، فلا يجدي القرب لوحده ، وإنما يجب أن يكون مأذوناً في الشفاعة أيضاً ، قال تعالى :

(يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)⁽⁶⁷⁾ .

2- أن يكون للمشفوع له استعداد لقبول الفيض الإلهي الوارد عليه بواسطة الشفيع ؛ بمعنى أن لا ينقطع ارتباطه بالإيماني بالبارئ سبحانه ، بل يبقى محفوظاً . وعليه فلا شفاعة للكافر ، ولا لبعض المسلمين كتارك الصلاة وقاتل النفس المحترمة ظلماً ؛ وذلك أنّ هؤلاء قطعوا صلّتهم الروحية بالبارئ سبحانه ، قال سبحانه في حقّ تارك الصلاة والمنكرين ليوم الدين :

(فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)⁽⁶⁸⁾ .

وقال في حقّ الظالمين :

(مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)⁽⁶⁹⁾ .

فلسفة الشفاعة

(66) مسند احمد بن حنبل ، ج 1 ، ص 301 . صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 91 (طبع مصر) .

(67) طه : 109 .

(68) المدثر : 48 .

(69) غافر : 18 .

الشفاعة كالتوبة ، نافذة يدخل منها شعاع الأمل لقلوب المذنبين الذين أحسّوا باشتباههم أثناء السير والسلوك إلى الله ، حيث تكون داعياً لترك المعاصي ؛ حيث أنّهم يعلمون أنّ الشفاعة باب مفتوح أمامهم ضمن شرائط خاصّة ، لا مطلقاً ، فيمكنهم ولوج هذا الباب والنجاة من العذاب إذا ما راعوا تلك الشرائط ، فيحاولون أن لا يتجاوزوا تلك الحدود لئلاّ تفوتهم الشفاعة .

أثر الشفاعة

اختلف المفسرون في أثر الشفاعة ؛ وهل أنّها تفيد غفران الذنوب ، أم رفع الدرجات؟ الذي يتراءى لنا من خلال قول النبي(صلى الله عليه وآله) هو الرأي الأول لقوله (صلى الله عليه وآله):

«إنّ شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمّتي»⁽⁷⁰⁾ .

(70) سنن ابن ماجه ، ج 2 ، ص 1441 ، ح 4310 . سنن الترمذي ، ج 4 ، ص 45 . سنن أبي داود ، ج 2 ، ص 537 . مسند أحمد ، ج 3 ، ص 213 .

هل طلب الشفاعة من الشفعاء شركٌ بالله ؟

توضيحه : قد يقال : إنَّ الشفاعة من شؤون الباري حلَّ وعلا المخصوصة به ، لقوله عزَّ اسمه :
(قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)⁽⁷¹⁾ .

وعليه فالشفاعة طلبٌ لما هو مخصوص بالباري من غيره سبحانه وهم عبيده ، والطلب الذي يتَّسم بهذه السمة نوع عبادة لغير الله ، وهو ينافي التوحيد في العبادة لله سبحانه وتعالى .

الجواب :

المقصود من الشرك هنا ليس هو الشرك في الذات ، ولا الشرك في الخلق ، ولا الشرك في التدبير ، وإنما المقصود هو الشرك في العبادة . وعليه فبيان الجواب يعتمد على تفسير وفهم معنى العبادة بالدقَّة .
ثم إنَّ تفسير العبادة لا يرجع إلينا ، كي نعتبر الخضوع لكلِّ مخلوق أو الطلب منه عبادة .

هذا ، والقرآن الكريم يصرِّح بأنَّ الملائكة سجدت لآدم ، قال تعالى :

(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)⁽⁷²⁾ .

فسجود الملائكة لآدم(عليه السلام) بأمر الله سبحانه ، ليس عبادة له ؛ وإلاَّ لما أمر الباري سبحانه به .

كما سجد يعقوب (عليه السلام) و أولاده ليوسف (عليه السلام) ، على ما أفصح به الذكر الحكيم حيث قال :

(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)⁽⁷³⁾ .

فإذا كان هذا الخضوع عبادة ليوسف(عليه السلام) لما فعله النبيَّ يعقوب(عليه السلام) ، والذي يتحلَّى بالعصمة ! بل لو كان هذا الخضوع عبادة ليوسف لما ارتضاه من أولاده أيضاً . كلُّ ذلك مع أننا لا نجد خضوعاً أشدَّ من السجود .

فعلى هذا يجب التفريق بين مفهوم الخضوع والطلب من الآخرين وبين مفهوم العبادة ، فحقيقة العبادة أن يعتقد الإنسان الالوهية لمخلوق معيَّن ، ويعبده ، أو أن يعتقد أنَّ الأفعال الإلهية — كتدبير العالم وغفران الذنوب — مفوَّضة لمخلوق معيَّن . و أما إذا كان الخضوع للمخلوق من دون أن نعتقد فيه الالوهية ، ومن دون أن نعتقد تفويض الشؤون الإلهية إليه ، فليس هذا عبادة ، بل هو مجرد احترام له ؛ نظير احترام الملائكة لآدم ، واحترام يعقوب ليوسف(عليهما السلام) .

(71) الزمر : 44 .

(72) الحجر : 29 — 30 .

(73) يوسف : 100 .

وفي مقام الجواب عن السؤال نقول : إذا اعتقدنا أن الشفاعة مفوضة للشفعاء ، وأنهم يشفعون لمن يريدون من دون أي قيد أو شرط ، وهم السبب في مغفرة ذنوبهم ، فهذا شرك ؛ لأننا طلبنا ما هو لله من غيره . و أما إذا اعتقدنا أن بعض عباد الله الصالحين مجازون بالشفاعة للمذنبين ضمن اطار وحدود معينة والتي من أهمها رضا الله سبحانه ، فهذا لا يلزم الاعتقاد بالوهية هذا الشافع الصالح كما هو واضح ، كما لا يلزم تفويض شأن الهى إليه ، بل هو طلب ممن هو أهل لذلك .

ولهذا نجد أن المذنبين على عهد الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) كانوا يأتون إليه لطلب المغفرة ، ومع ذلك لم ينسبهم النبي (صلى الله عليه وآله) للشرك ، ففي سنن ابن ماجه :

«أتدرون ما خيرني ربي الليلة ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم . قال : فإنه خيرني بين أن يدخل نصف

أمتي الجنة ، وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة . قلنا : يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلنا من

أهلها . قال : هي لكل مسلم»⁽⁷⁴⁾ .

فالحديث صريح في طلب الصحابة المغفرة من الرسول(صلى الله عليه وآله) بقولهم : «ادع الله» .

كما أن الكتاب العزيز يصدع بقوله :

(وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)⁽⁷⁵⁾ .

وقال في مقام آخر :

(قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْنَا لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ)⁽⁷⁶⁾ .

وقد أحاجهم نبي الله يعقوب إلى ذلك ووعدهم أن يستغفر لهم بقوله :

(قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)⁽⁷⁷⁾ .

(74) سنن ابن ماجه ، ج 2 ، ص 1444 باب ذكر الشفاعة .

(75) النساء : 64 .

(76) يوسف : 97 .

(77) يوسف : 98 .

هل الاستعانة بغير الله شرك ؟

الجواب :

جميع الناس وجميع الأشياء — في النظرة الاسلامية وبنظر العقل — محتاجة إلى الله في تأثيرها كحاجته إليه عند بدء الحلقة ، يقول الباري في محكم كتابه :

(يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (78) .

وقال في موضع آخر :

(وَمَا تَنْصُرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (79) .

وعلى هذا الأساس نكرر الآية التالية في كل صلاة :

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (80) .

ولإيضاح الجواب عن السؤال المذكور نقول : الاستعانة بغير الله لها صورتان :

1- أن نستعين بغير الله مع اعتقاد أنه مستقلّ عن الباري في أفعاله وغيث عنه في إعانتة . فهذا الشكل من الاستعانة لا ريب في أنه شرك بالله سبحانه ، والقرآن الكريم يصف هذا النوع من التصور بفقدانه للأساس وبعده عن الصواب ، حيث يقول :

(قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) (81) .

2- أن نستعين بغير الله مع اعتقاد أنه لا استقلال له عن الحقّ جلّ وعلا ، وإتّما هو محتاج إليه في أفعاله وتأثيراته ، بل إنّ تأثيره في الأشياء إنما هو من جانب الله سبحانه أيضاً ، وقد جعل الله له هذه القدرة والتأثير رفعاً لحاجة العباد .

وعلى أساس هذه النظرة تكون استعانتنا بهذا المخلوق استعانة به بما هو واسطة جعلها الله وسيلة لقضاء حوائج الآخرين . وهذه الاستعانة في حقيقتها استعانة بالله سبحانه ؛ فهو الذي أفاض عليه الوجود ، و أفاض عليه قدرة التأثير لتأمين حوائج الآخرين ، وذلك أنّ حياة البشر في النشأة الدنيا مبنية على أساس الاستعانة بالأسباب والمسببات ، بحيث لو لم يستعينوا بها احتلّ نظام الحياة .

فإذا نظرنا إليها بما هي عوامل و أسباب لتأثير الباري في الموجودات ، و أنّها محتاجة في تأثيرها إلى الباري كحاجتها إليه في أصل وجودها . فهذه الاستعانة لا تنافي التوحيد أبداً .

فالفلاح الموحّد إذا استعان في زراعته بأسباب وعوامل طبيعية نظير التربة والماء والهواء والشمس لنموّ البذور حتى يجني منها محاصيله ، هو في الحقيقة مستعين بالله سبحانه؛ لأنّه هو المعطي لها هذا الاستعداد

(78) فاطر : 15 .

(79) آل عمران : 126 .

(80) الفاتحة : 5 .

(81) الأحزاب : 17 .

والقابلية لإنماء الزرع . وهذه الاستعانة تنسجم تماماً مع التوحيد ولا تنافيه بالمرّة ، بل إنّ القرآن الكريم يوصينا بالاستمداد ببعض الأمور؛ كالصبر والصلاة ، في قوله عزّ من قائل :

(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)⁽⁸²⁾ .

ومن الواضح أنّ الصبر والصلاة من أفعال البشر ، ونحن مأمورون بالاستعانة بهما . في الوقت الذي نجد الآية حصرت الاستعانة به سبحانه في قوله تعالى :

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)⁽⁸³⁾ .

ولا تنافي بينهما أصلاً .

(82) البقرة : 45 .

(83) الفاتحة : 5 .

هل دعاء ونداء الآخرين من الشرك بالله ؟

الذي أثار هذا التساؤل هو ظاهر بعض الآيات والروايات الناهية عن ذلك ، كقوله تعالى :
(وَ أَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (84) .

وقوله تعالى :

(وَ لَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَ لَا يَضُرُّكَ) (85) .

حيث تمسكت طائفة من الناس بظاهر هذه الآيات وقالوا : إن نداء أولياء الله والصالحين — بعد رحيلهم عن هذه الدنيا — عبادة لهم وشرك بالله العظيم .

الجواب :

لإيضاح الجواب عن السؤال المذكور ينبغي بيان معنى اللفظتين : «الدعاء» و «العبادة» ، فنقول : لا شك أن لفظ «الدعاء» في اللغة العربية بمعنى النداء والدعوة . ولفظ «العبادة» بمعنى الخضوع الخاص مقابل الإله . ومن هنا فلا يمكن عدّهما مترادفين وبمعنى واحد ؛ أي لا يمكن القول بأن كل نداء ودعاء عبادة ؛ لأنه :

1- استعملت مادة «دعو» في القرآن الكريم في موارد لا يمكن القول بأن المراد منها هو العبادة ،

نظير :

(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا) (86) .

فهل يا ترى يمكن القول بأن مراد نبي الله نوح (عليه السلام) أنه كان يعبد قومه ليلاً ونهاراً!!
وعليه فلا يمكن القول بأن «الدعاء» و «العبادة» مترادفان ، فإذا نادى شخص أحداً من الأولياء والصالحين فقد عبده ؛ وذلك أن النداء أعم من العبادة .

2- المراد من الدعاء في مجموع هذه الآيات ليس هو مطلق النداء ، بل هو الدعوة الخاصة التي يمكن ان تلازم العبادة ؛ وذلك أن جميع هذه الآيات واردة في شأن عبدة الأوثان الذين يعتقدون أن الأوثان آلهة صغار . ولا ريب أن دعاء واستغاثة هؤلاء بأهنتهم التي يعتقدون أنها المالكة للشفاعة والمغفرة ...
وإنما المتصرف المستقل في أمور الدنيا والآخرة . ومن الواضح أنه في مثل هذه الظروف والشرائط يكون طلب ودعاء هؤلاء لهذه الموجودات عبادة .

ومن أوضح الشواهد على أن دعوة هؤلاء كانت مقرونة بعقيدة الألوهية هو هذه الآية الشريفة :

(فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) (87) .

(84) الجن : 18 .

(85) يونس : 106 .

(86) نوح : 5 .

(87) هود : 101 .

وعلى هذا فالآيات المبحوث عنها لا ربط لها بالبحث ، فمحلّ البحث هو طلب عبد من آخر لا يعتقد الوهيته ولا يرى أنّه المالك والمتصرف المختار في شؤون الدنيا والآخرة ، وإنما يرى أنّه عبد عزيز ومحترم من عبيد الله سبحانه ، اجتباه الله رسولاً أو نبياً ، ووعده قبول دعائه في حق العبيد بقوله :
(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (88) .

3 - الآيات المذكورة دليل واضح على أنّ المراد من الدعوة ليس هو مطلق طلب الحوائج ، وإنما الدعوة للعبادة ، وذلك للتعبير في نفس الآية بعد ذلك بلفظ العبادة ، فالآية هي :

(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (89) .

ففي أول الآية ورد لفظ «ادْعُونِي» وفي آخرها لفظ «عِبَادَتِي» ، وهذا دليل على أنّ المراد من الطلب أو الاستغاثة إنما هو بالموجودات الأخرى التي يعتقد أنها بالصفات الإلهية .

النتيجة :

نستنتج من المقدمات الثلاث المذكورة أنّ الهدف الرئيسي للقرآن من هذه الآيات هو النهي عن دعوة عبدة الأوثان الذين يرون أنّ الأوثان شريكة للباري سبحانه وأنها المدبّرة والشفيعه ، فكل خضوع وتذلل واستعانة واستغاثة واستشفاع بهذه كان من خلال النظر إليها كألهة صغار هي المتولية لشؤون الإله في الدنيا والآخرة ، وأنّ الباري فوّض إليها شؤون الخلق . وليست لهذه الآيات علاقة بالتوسّل والاستغاثة بالأرواح الطاهرة والنفوس الزكية للأولياء الذين هم في نظر الداعي عبيد الله سبحانه وتعالى ولا يسمو مقامهم عن حد العبودية شيئاً أصلاً ، وإنما هم عباد محبوبون لله جلّ وعلا . وإذا قالت الآية الكريمة :

(وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (90) .

فالمراد هو دعوة عرب الجاهلية لمعبوداتهم من الأصنام أو الأجرام السماوية أو الملائكة أو الجن . فهذه الآية ونظائرها ناظرة لدعوة الشخص أو الشيء المقرونة باعتقاد الألوهية ، ولا ريب أنّ دعاء هذه المخلوقات مع هذه العقيدة يعدّ عبادة لها ، لكن ما هي علاقة هذه الآيات بالدعاء والطلب من شخص مع عدم اعتقاد ربوبيته ؟ !

لكن يمكن أن يتصور أنّ الاستغاثة بالأولياء والصالحين جائز في زمان حياتهم فحسب ، وأمّا بعد مماتهم فهو غير جائز ، وشرك بالله العظيم .

وللجواب عن هذا التصور نقول :

(88) النساء : 64 .

(89) غافر : 60 .

(90) الجن : 18 .

1 - نحن إنما نستعين بأرواح الصالحين من عباد الله كنيّنا و أئمتنا صلوات الله عليهم أجمعين ، الذين صرح القرآن الكريم بحياتهم ، و أنهم يعيشون في مقام أسمى من مقام الشهداء في عالم البرزخ ، ولا نستعين بأبدانهم المودعة في لحود القبور ، وإن كنا نستعين بهم عند قبورهم ، فهو لأنّ هذه الحالة تقوّي حالة الارتباط بأرواحهم الطاهرة والتوجه إليها . مضافاً إلى أنّ مضاجعهم الطاهرة من مواضع استجابة الدعاء كما ورد في الروايات الشريفة .

2 - لا يمكن جعل الحياة والممات معياراً للشرك والتوحيد ، مع أنّ كلامنا هنا عن المعيار في ذلك ، لا في مقام قبول هذه الأدعية والاستغاثات وعدمه . مع أننا بيننا هذه الجهة في محلّها أيضا .

ما هو البداء ولماذا تعتقدون به ؟

البداء لغة : هو الظهور والجلاء . وفي اصطلاح علماء الشيعة : تعبير المسير الطبيعي لمصير الإنسان على أثر سلوكه وعمله الصالح .

والبداء من المسائل العقائدية السامية في المذهب الشيعي ، وهي مستوحاة من العقل والنقل . فالإنسان في الرؤية القرآنية ليس محدوداً ومقيداً بمصير معين ، بل له الرجوع عن جادة الضلال وتغيير مصيره من الشقاء إلى السعادة ، وستكون أعماله الصالحة سبباً لتغيير مصيره . ومن هنا يبين القرآن الكريم هذه الحقيقة كأصل ثابت وشامل ، فيقول :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)⁽⁹¹⁾ .

وقال في موضع آخر :

(وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ)⁽⁹²⁾ .

وقال في شأن النبي يونس(عليه السلام) وتغيير مصيره :

(فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)⁽⁹³⁾ .

والذي يبدو من الآية الأخيرة هو أن مقتضى الحال كان يوجب بقاء يونس في هذا السجن إلى يوم القيامة ، لكن عمله الصالح — وهو التسييح — غير مصيره و أنجاه مما كان فيه .

كما أن الروايات الشريفة أيدت هذه الحقيقة ، حيث يقول نبينا(صلى الله عليه وآله) :

«إِنَّ الرَّجُلَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يَصِيْبِهِ ، وَلَا يَرِدُ الْقَدْرَ إِلَّا الدَّعَاءُ ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعَمْرِ إِلَّا الْبِرُّ»⁽⁹⁴⁾ .

فيستفاد من هذه الرواية و أمثالها أن الإنسان يحرم من الرزق بسبب المعاصي ، ولكنه بالعمل الصالح كالدعاء يمكنه تغيير المقدّر له ، وبالإحسان يزيد في عمره .

النتيجة :

المستفاد من آي الذكر الحكيم و السنّة الشريفة أن الإنسان — وفقاً لنظام الأسباب والمسببات — قد يكون محكوماً بمصير مظلم نتيجة لسوء أعماله ، بل قد يخبره أحد الأولياء أو الأنبياء (عليهم السلام) بسوء منقلبه وعاقبته ، ومعنى هذا الإخبار هو أن نتيجة هذا السلوك والتصرف إذا ما استمرّ هو هذه النتيجة المشؤومة . وأما إذا حصل تغيير وتحوّل في سلوكه فإن مآله و مصيره سينقلب و يتغير .

(91) الرعد : 11 .

(92) الأعراف : 96 .

(93) الصافات : 143 و 144 .

(94) مسند احمد بن حنبل ، ج 5 ، ص 277 . المستدرک على الصحيحين ، ج 1 ، ص 493 ، وج 3 ، ص 481 .

فهذه الحقيقة النابعة من الوحي الإلهي والروايات الشريفة والعقل هي المسماة عند علماء الشيعة بـ «البداء» .

الجدير بالذكر أنّ اصطلاح «البداء» ليس من التعابير المختصة بالشيعة ، وإنما نجده في كتب أهل السنة أيضاً ، بل نجد أساسه في أحاديث نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله) ، ونحن ننقل على سبيل المثال حديثاً واحداً استعمل فيه النبي (صلى الله عليه وآله) لفظ البداء ، وهو :

وفي حديث الأقرع والأبرص والأعمى «بدا لله عزّوجلّ أن يتليهم»⁽⁹⁵⁾ .

نعم ، البداء لا يعني حصول التغيير في ساحة العلم الإلهي الأقدس ؛ لأنّ البارئ عزّوجلّ عالم بسلوك الناس وسيرتهم الطبيعية ، وعالم بالعوامل المؤثرة في تغيير هذه المسيرة والحركة نحو اتجاه آخر التي هي السبب في حصول البداء ، وهذا ما صرح به الذكر الحكيم بقوله :

(يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)⁽⁹⁶⁾ .

فعلى هذا الأساس يكون معنى البداء لله سبحانه هو أن تظهر لنا الحقيقة المخفية علينا والمعلومة له سبحانه من الأزل . ولهذا يقول إمامنا الصادق (عليه السلام) :

«ما بدأ لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدؤ له»⁽⁹⁷⁾ .

فلسفة البداء :

لا شك ولا ريب أنّ الإنسان إذا علم أنّ بإمكانه تغيير مصيره فإنّه سيندفع نحو تحقيق مستقبل أفضل ، وسيتحرك إلى ذلك بحافز أقوى وجدّية أكثر . وبعبارة أخرى وبيان آخر : كما أنّ التوبة والشفاعة لهما الأثر في إيجاد النشاط والحيوية في الحياة والحيلولة دون اليأس والقنوط ، فكذا البداء ؛ فإنّه باعث على الحيوية والأمل في الحياة ، ويعت على الثقة بمستقبل زاهر ؛ لأنّه يعلم أنّ القضاء الإلهي فسح له المجال لتغيير مستقبله ومصيره ومآله نحو الأفضل .

(95) النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ، ج 1 ، ص 109 .

(96) الرد : 39 .

(97) الكافي ، ج 1 ، ص 148 ، ح 9 .

هل تعتقد الشيعة بتحريف القرآن؟

المشهور بين علماء الشيعة هو أن القرآن الكريم مصون عن التحريف ، وأنه لم يتطرق إليه التصحيف أصلاً ، وأن القرآن الموجود بأيدينا اليوم هو عين القرآن النازل على نبيّنا(صلى الله عليه وآله) من دون زيادة ونقصان ، ولأجل إيضاح ما قلناه نذكر بعض الأدلة على ذلك :

1 - إن الباري سبحانه وتعالى ضمن لنا حفظ كتابه العزيز ، حيث قال :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (98) .

وبما أن الشيعة يعتبرون القرآن منهجاً فكرياً وعملياً لهم فهم يعظمون هذه الآية ويؤمنون بما تنادي به من حفظ وصيانة الكتاب العزيز .

2 - إن قائد الشيعة الأعظم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) الذي كان مرافقاً للنبي(صلى الله عليه وآله) دوماً ، وكان من كتّاب الوحي ، كان يوصي الناس — وفي مناسبات مختلفة — بالرجوع إلى القرآن ، وإليك بعض كلماته النيرة :

«واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يَغِشُّ ، والهادي الذي لا يَضِلُّ ، والمُحدِّثُ الذي لا يَكْذِبُ» (99) .

وقال :

«وإن الله سبحانه لم يعِظَ أحداً بِمِثْلِ هذا القرآنِ ، فإنه جبلُ الله المتينُ ، وسببه الأمينُ» (100) .

وقال :

«ثم أنزل عليه الكتابَ نوراً لا تُطفأ مصابيحُه ، وسراجاً لا يخبو توقُّدُه ، وبحراً لا يُدرِكُ قعرُه ، ومنهاجاً لا يضلُّ نهجُه ، وشعاعاً لا يُظلمُ ضوءُه ، وفرقاناً لا يخمدُ برهانه» (101) .

فكلام سيد الأوصياء يوضح أن القرآن مصباح هداية لمن استضاء به ، لا يطفأ نوره إلى الأبد ، فكلّ تغيير يوجب إطفاء هذا النور ، أو يسبب الضلالة ، فهو غير ممكن فيه .

3- اتفق علماء الشيعة على أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال :

«إني تاركٌ فيكم الثقلينِ ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا ؛ كتابَ الله وعترتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوضَ» (102) .

(98) الحجر : 9 .

(99) نهج البلاغة : الخطبة 176 .

(100) نهج البلاغة : الخطبة 176 .

(101) نهج البلاغة : الخطبة 176 .

(102) المعجم الصغير للطبراني ، ج 1 ، ص 135 .

وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة بين المسلمين ، فرواه السنّة والشيعة . ومنه يعلم بوضوح أنّ القرآن الكريم — في نظر الشيعة — لا يتسرّب إليه التحريف والتغيير ، لأنّه إذا نفذ التحريف إلى الكتاب العزيز فلا يكون التمسك به موجباً للهداية ، وهذه النتيجة تخالف النص المتواتر .

4- صرّحت روايات أئمتنا المعصومين والتي رواها علماءنا وفقهاؤنا أنّ القرآن ميزان لتمييز الحقّ من الباطل ، والصحيح من غيره ، وهذا بمعنى أنّ الكلام الوارد علينا باسم الحديث يجب عرضه على القرآن ؛ فما وافقه فهو حقّ وصحيح ، وما خالفه فهو باطل. والروايات الواردة في هذا المجال كثيرة ، مروية في كتب الحديث والفقه ، نذكر منها رواية واحدة :

روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) :

«ما لم يُوافق من الحديث القرآن فهو زُخْرُفٌ»⁽¹⁰³⁾.

فيستفاد من هذه الرواية أيضاً أنّ التغيّر والتحريف لا مجال له في القرآن الكريم ، ومن هنا فإنّ القرآن معيار لمعرفة الحقّ من الباطل إلى الأبد .

5- صرّح كبار علماء الشيعة والذين لهم قدم السبق في الثقافة الشيعية بأن القرآن لا يعتريه التحريف والتغيير . وبما أنّه يعسر إحصاء أسماء هؤلاء الأجلّاء جميعاً ، نذكر جملة منهم :

1- قال أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ ، المعروف بالشيخ الصدوق (المتوفّى سنة 381 هـ) : «اعتقدنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد (صلى الله عليه وآله) هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس»⁽¹⁰⁴⁾

2- وقال السيد المرتضى عليّ بن الحسين الموسوي العلوي ، المعروف بعلم الهدى (المتوفّى سنة 436 هـ): «وإنّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وغيرهما ، ختموا القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله) عدّة ختمات ، وكلّ ذلك يدل بأدنى تأمل على أنّه كان مجموعاً مرتّباً غير مبتور ولا مبيثوث»⁽¹⁰⁵⁾ .

3- وقال أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، المعروف بالشيخ الطوسي (المتوفّى سنة 460 هـ) : «وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً ، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا ، وهو الذي نصره المرتضى(رحمه الله) ، وهو الظاهر من الروايات . غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع ، طريقها الأحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً ، والأولى الإعراض عنها ، وترك التشاغل بها ، لأنه يمكن تأويلها»⁽¹⁰⁶⁾ .

(103) الكافي ، ج 1 ، ص 69 ، ح 4 .

(104) الاعتقادات : ص 93 .

(105) تفسير مجمع البيان ، ج 1 ، ص 43 .

(106) التبيان للشيخ الطوسي ، ج 1 ، ص 3 .

- 4- وقال أبو علي الطبرسي صاحب التفسير المعروف «مجمع البيان»: «ومن ذلك: الكلام في زيادة القرآن ونقصانه ، فإنه لا يليق بالتفسير؛ فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه. وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أنّ في القرآن تغييراً أو نقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه»⁽¹⁰⁷⁾ .
- 5- وقال عليّ بن طاووس الحلّي المعروف بالسيد ابن طاووس (المتوفّى سنة 664 هـ): «في نظر الشيعة أنّ القرآن لا يتطرق إليه التحريف»⁽¹⁰⁸⁾ .
- 6- وقال زين الدين العاملي (المتوفّى سنة 877 هـ) في تفسير الآية: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)⁽¹⁰⁹⁾ : «يعني أنّنا نصون القرآن ونحافظ عليه من كلّ تغيير وتحريف»⁽¹¹⁰⁾ .
- 7- وقال القاضي السيد نور الدين التستري صاحب كتاب «إحقاق الحقّ» (المتوفّى سنة 1019 هـ): «ما نسبته البعض إلى الشيعة الإمامية من القول بتحريف القرآن ، ليس هو قول الشيعة أجمع، وإنّما قال به قليل منهم ، ولا يعتنى بهم»⁽¹¹¹⁾ .
- 8- وقال محمد بن حسين المعروف ببهاء الدين العاملي (المتوفّى سنة 1030 هـ) : «الصحيح أنّ القرآن العظيم مصون عن كلّ زيادة ونقصان ، وما يقال من أنّه "حذف اسم أمير المؤمنين(عليه السلام) من القرآن" فهو غير مرضي عند العلماء ، وكلّ من يسبر التاريخ والروايات يعلم أنّ القرآن - لتواتره ونقل آلاف الصحابة له - ثابت ، وأنّه جمع على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)»⁽¹¹²⁾ .
- 9- وقال الفيض الكاشاني صاحب كتاب الوافي (المتوفّى سنة 1091 هـ) : «فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير، وأيضا قد استفاض عن النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة(عليهم السلام) حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله ليعلم صحته بموافقه له وفساده بمخالفته فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفاً فما فائدة العرض مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذب له فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله»⁽¹¹³⁾ .
- 10- وقال الشيخ الحرّ العاملي (المتوفّى سنة 1104 هـ): «كلّ من يسبر التاريخ والروايات يعلم أنّ القرآن - لتواتره ونقل آلاف الصحابة له - ثابت ، وأنّه جمع ورتّب على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)»⁽¹¹⁴⁾ .

(107) تفسير مجمع البيان ، ج 1 ، ص 42 .

(108) سعد السعود : ص 144 .

(109) الحجر : 9 .

(110) اظهار الحق : ج 2 ، ص 130 .

(111) الاء الرحمن ، ص 25 .

(112) الاء الرحمن ، ص 25 .

(113) التفسير الصافي، ج 1 ، ص 51 .

(114) آلاء الرحمن ، ص 25 .

11- وقال المحقق الجليل الشيخ جعفر كاشف الغطاء في كتابه المعروف (كشف الغطاء): «لا ريب في أنه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان ، كما دلّ عليه صريح القرآن وإجماع العلماء في جميع الأزمان ، ولا عبرة بالنادر» (115) .

12- وقال قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني (قدس سره) : «إنّ الواقف على عناية المسلمين على جمع الكتاب وحفظه وضبطه قراءة وكتابة ، يقف علي بطلان تلك المزعمة، وأنّه لا ينبغي أن يركن إليه ذو مسكة . وما وردت فيه من الأخبار، بين ضعيف لا يُستدلّ به، إلى مجعول يلوح منها أمارات الجعل، إلى غريب يقضى منه العجب، إلى صحيح يدلّ على أن مضمونه تأويل الكتاب وتفسيره، إلى غير ذلك من الأقسام التي يحتاج بيان المراد منها إلى تأليف كتاب حافل، ولولا خوف الخروج عن طور الكتاب لأرخينا عنان البيان إلى بيان تأريخ القرآن، وما جرى عليه طيلة تلك القرون، وأوضحنا لك أن الكتاب هو عين ما بين الدقّتين. والاختلاف الناشئ بين القراء ليس إلاّ أمراً حديثاً، لا ربط له بما نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين» (116) .

النتيجة :

بهذا يتضح أنّ جمهور المسلمين سنّة وشيعة يعتقدون أنّ القرآن الموجود بأيدينا هو القرآن النازل على النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، وأنّه مصون عن التغيير والتحريف سواء كان زيادة أو نقصاً .

كما يتضح بذلك وهن ما نسب إلى الشيعة من القول بالتحريف ، وإن كانت النسبة إليهم بسبب وجود روايات ضعيفة في ذلك ، فنقول إن وجود الروايات الضعيفة لا يختص بطائفة يسيرة من الشيعة بل روى جملة من المفسرين السنّة روايات في ذلك أيضاً ، نشير إلى بعضها :

1- روى أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره عن أبي بكر الأنباري عن أبي بن

كعب :

«كانت هذه السورة تعدل سورة البقرة، وكانت فيها آية الرجم: (الشيخُ والشيخةُ إذا زَنَيَا فارجموهما ألبتّة نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيمٌ)» (117) .

وروى فيه أيضاً عن عائشة أنّها قالت :

«كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) منّي آية ، فلما كتب المصحف لم يقدر منها إلاّ على ما هي الآن» (118) .

2- وقال السيوطي في كتاب الإتيان :

(115) كشف الغطاء ، ج 2 ، ص 299 .

(116) تهذيب الأصول (تقرير بحث السيد الخميني) ، ج 2 ، ص 96 .

(117) تفسير القرطبي، ج 14 ، ص 113 .

(118) تفسير القرطبي، ج 14 ، ص 113 .

«وفي مصحف ابن مسعود مئة واثننا عشرة سورة ؛ لأنه لم يكتب المعوذتين . وفي مصحف أبي مئة وست عشرة لأنه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع»⁽¹¹⁹⁾ .
مع أنّ الجميع يعلم أنّ عدد سور القرآن مئة وأربع عشر سورة ، ولا نجد أثراً لسورتي الحفد والخلع .

3- وروى هبة الله بن سلامة في كتاب «الناسخ والمنسوخ» عن أنس بن مالك أنّه قال :

«كنا نقرأ سورة تعدل سورة التوبة ما أحفظ منها إلاّ هذه الآية: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، ولو أنّ له ثالثاً لابتغى إليه رابعاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب، ويتوب الله على من تاب)⁽¹²⁰⁾ .

والحال أنّنا لا نجد آية في المصحف بهذا النص أو المضمون ، مع عدم انسجامها مع بلاغة القرآن .

4- وروى جلال الدين السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» عن حذيفة قال :

«قال لي عمر بن الخطاب: كم تعدّون سورة الأحزاب؟ قلت: ثنتين أو ثلاثاً وسبعين. قال: إن

كانت لتقارب سورة البقرة، وإن كان فيها لآية الرجم»⁽¹²¹⁾ .

وعليه فنفر قليل من السنة والشيعنة روت روايات ضعيفة في وقوع التحريف والتغيير في القرآن الكريم ، وهذه الروايات الضعيفة غير مقبولة عند أكثر المسلمين سنّة وشيعنة ، بل تردها آيات الكتاب العزيز ، والروايات الصحيحة والمتواترة ، والإجماع ، واتفاق آلاف الصحابة ، واتفاق مسلمي العالم ، فإنها جميعاً متفقة على عدم وقوع التحريف زيادة أو نقصاً في الكتاب المجيد .

(119) الإتيان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 67 . الدر المنثور للسيوطي ، ج 6 ، ص 420 .

(120) الناسخ والمنسوخ لابن حزم ، ص 9 .

(121) الدر المنثور ، ج 5 ، ص 180 .

ما هو رأي الشيعة في الصحابة؟

ينقسم من تشرف بلقاء النبي (صلى الله عليه وآله) في نظر الشيعة إلى أقسام ، ونرى من المناسب أولاً وقبل ذكر الأقسام أن نذكر تعريف الصحابي إجمالاً ، فنقول :

توجد تعريفات عديدة لصحابه النبي ، نشير إلى بعضها فيما يلي :

1- يقول سعيد بن المسيب :

«لا يعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين»⁽¹²²⁾ .

2- وقال الواقدي :

«رأيت أهل العلم يقولون : كل من رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد أدرك اللحم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه ، فهو عندنا ممن صحب النبي (صلى الله عليه وآله) ولو ساعة من نهار»⁽¹²³⁾ .

3- وقال محمد بن إسماعيل البخاري :

«من صحب النبي (صلى الله عليه وآله) أو رآه من المسلمين فهو صحابي»⁽¹²⁴⁾ .

4 - وقال أحمد بن حنبل :

«كل من صحب النبي (صلى الله عليه وآله) شهراً أو ساعة أو رأى النبي (صلى الله عليه وآله) فهو صحابي»⁽¹²⁵⁾ .

وهنا نشير إلى أن أحد الأمور المسلمة بين علماء السنة هو القول بعدالة الصحابة ، بمعنى أن من أدرك صحبة النبي (صلى الله عليه وآله) فهو عادل⁽¹²⁶⁾ .

ولنذكر الآن تحقيق هذا المقال تبعاً للوارد في الآيات الكريمة ، ثم نعقبه بذكر رأي الشيعة — النابع من مفاد الكتاب والسنة — في المسألة .

ذكر التاريخ أسماء وأوصاف أكثر من اثني عشر ألف شخصاً بعنوان «صحابه النبي (صلى الله عليه وآله)» ، نجد فيما بينهم وجوهاً مختلفة . ولا شك أن صحبة الرسول الكريم فخر عظيم ما ناله إلا

(122) أسد الغابة ، ج 1 ، ص 11 و 12 ، طبع مصر .

(123) المصدر السابق .

(124) المصدر السابق .

(125) المصدر السابق .

(126) الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، ج 1 ، ص 2 ، اسد الغابة ، ج 1 ، ص 3 نقلاً عن ابن الأثير .

طائفة من المسلمين . والأمة الإسلامية تنظر إليهم دوماً بعين الإجلال والتعظيم ; فهم السابقون للإسلام ، وهم الذين هزّوا راية الإسلام المنصورة لأول مرة . بل إن القرآن الكريم مجّد بهم أيضاً فقال :
(لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أُولَئِكَ أُعْظِمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا) (127) .

لكن يجب القول أيضاً أنّ صحبة النبي (صلى الله عليه وآله) لم تكن إكسيراً يقلب ويغيّر حقائق المسلمين ، بل ليست ضماناً للصحابي يضمن له الاستقامة مدى حياته .
ولإيضاح المسألة أكثر يجدر بنا الرجوع للقرآن الكريم والذي عليه اتفاق جميع المسلمين ; لننظر ما يرشدنا إليه في هذا المجال .

الصحابي في الرؤية القرآنية :

ينقسم من تشرف بقاء وصحبة النبي (صلى الله عليه وآله) في النظرة القرآنية إلى قسمين :

القسم الأول :

هم الذين أطرهم الآيات الخالدة للكتاب العزيز ، ووصفتهم بمؤسسي كيان الإسلام الشامخ العزيز ، ونحن ننقل إليك بعض المقاطع النورانية من آي الذكر الحكيم المتعلقة بهذا القسم :

1 - السابقون الأولون :

(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (128) .

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (129) .

2 - المهاجرون :

(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (130) .

(127) الحديد : 10 .

(128) التوبة : 100 .

(129) الفتح : 18 .

(130) الحشر : 8 .

3- أصحاب الفتح :

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) (131) .

القسم الثاني :

القسم الثاني من صحب النبي (صلى الله عليه وآله) هم المنافقون أصحاب الوجوه المتعددة ، وأصحاب القلوب المريضة ، وقد فضحهم الذكر الحكيم ، وأبان حقيقتهم للنبي الكريم عليه وآله صلوات المصلين ، وإليك بعض الآيات المتعلقة بهذا القسم :

1- المنافقون المعروفون :

(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) (132) .

2- المنافقون المجهولون :

(وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) (133) .

3- أصحاب القلوب المريضة :

(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (134) .

4- المذنبون :

(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (135) .

مضافاً إلى الآيات المذكورة الدائمة لهؤلاء الصحابة ، وردت بعض الروايات عن النبي (صلى الله عليه وآله) في ذم بعض الصحابة ، وإليك نموذجان منها :

1- روى أبو حازم سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول :

«أنا فرطكم على الحوض ، من ورد شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا ، وليردني علي الحوض أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم»

(131) الفتح : 29 .

(132) المنافقون : 1 .

(133) التوبة : 101 .

(134) الأحراب : 12 .

(135) التوبة : 102 .

قال أبو حازم : فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا الحديث ، فقال : هكذا سمعت سهلاً يقول ؟ قال : فقلت : نعم . قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسماعته يزيد فيقول :
إثمهم من أمتي ! فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سُحِقاً سُحِقاً لمن بدّل بعدي»⁽¹³⁶⁾ .

فيعرف من قوله (صلى الله عليه وآله) «أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني» ، ومن قوله : «سُحِقاً لمن بدّل بعدي» ، أن المراد من هؤلاء أصحابه الذين عاشوا معه مدة .

2- روى البخاري ومسلم عن النبيّ أنّه قال :

«يرد عليّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابي فيجلون»⁽¹³⁷⁾ عن الحوض ، فأقول يا ربّ أصحابي ! فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إثمهم ارتدّوا على أديبارهم القهقري»⁽¹³⁸⁾ .

النتيجة :

المستفاد من آيات الكتاب والسنة الشريفة أنّ الذين نالوا شرف صحبة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ليسوا بمرتبة واحدة ، وإنما هم على مراتب متعددة ، فبعضهم في أعلى درجات الكمال والرفعة ، حتى كان السبب في نمو شجرة الإسلام اليانعة . وبعضهم مريض القلب ، منافق ، له وجهان . وبعضهم مذنب .

وبهذا يتضح نظر الشيعة في الصحابة ، وهو عين النظرة القرآنية والنبوية لهم .

(136) جامع الأصول لابن الأثير : ج 11 ، ص 120 ، ح 7972 . ورواه البخاري ومسلم .

(137) في نسخة «فيجلون عنه» .

(138) صحيح البخاري ، ج 7 ، ص 208 .

ما المراد من نكاح المتعة ولماذا يحكم الشيعة بحلّيته ؟

الجواب :

حقيقة النكاح هي نوع علاقة وارتباط شرعيّ يحصل بين الرجل والمرأة ، غاية الأمر أنّ هذه العلاقة بين الزوجين قد يكون لها أمد معين تنتهي إليه ، وقد لا يكون لها أمد وزمان مشخص في العقد بل هي علاقة دائمية بين الزوجين . فكلا النكاحين نكاح شرعي وإنما الفرق بينهما هو في المدّة فأحدهما دائم والآخر مؤقت وله مدّة معيّنة ، والنكاحان متشابهان في كثير من الخصوصيات .

وأما الشروط المعتمدة في نكاح المتعة فهي نظير الشروط المعتمدة في النكاح الدائم ، وهي :

1- أن لا يمنع من زواجهما مانع شرعي ، سببياً كان المانع ، أو نسبياً ، أو غيرهما ، فإن منع مانع كان عقدهما باطل .

2- أن يذكر المهر المتفق عليه بين الزوجين في صيغة العقد .

3- أن تعيّن مدة الزواج .

4- إجراء صيغة العقد بين الزوجين .

5- الطفل المولود من الزوجين بهذا النكاح طفلهما شرعاً ، كالطفل المولود من النكاح الدائم ، من دون أيّ فرق بينهما ، فيجب أن يمنح جنسية كما يمنح المولود من النكاح الدائم .

6- نفقة الأولاد المولودين بهذا النكاح على الأب ، كالنكاح الدائم . ويرث الأولاد أبويهما .

7- إذا انقضت مدة نكاح المتعة وجبت العدة على الزوجة إن لم تكن يائساً ، فإن تبين خلال العدة أنّها حامل فلا يحق لها التزويج حتى تنقضي العدة .

وهكذا يجب رعاية بقية أحكام النكاح الدائم في نكاح المتعة سوى أمرين هما :

أ- بما أنّ الهدف من تشريع نكاح المتعة هو رفع الضرورة فلا يجب على الزوج النفقة على الزوجة ، بل نفقة الزوجة من مالها .

ب - ليس للزوجة إرث في هذا الزواج إن لم تشترطه في متن العقد .

ومن الواضح أنّ كلا الأمرين خارجان عن حقيقة النكاح . والجميع يعتقد أنّ الشريعة الإسلامية شريعة خالدة ، وهي خاتمة الشرائع الإلهية ، وهي الشريعة المتكاملة التي تلبّي حوائج البشرية أجمع .

وهنا نقول : إنّ الشابّ الذي يعيش الغربية — سواء في مدينة أخرى أو في بلد آخر — من أجل إكمال دراسته الجامعية مثلاً هو بحاجة إلى ما يسدّ غريزته الجنسية من جانب ، والظروف التي يعيشها

— من الناحية المادية وغيرها — لا تساعده على الزواج الدائم من جانب آخر ، فهذا الشاب يرى أمامه ثلاث طرق لا بدّ له من اختيار أحدها ، هي :

أ- أن يبقى على هذه الحال والمعاناة من حالة العزوبة .

ب- أن ينحرف في أمواج الفساد والفحشاء .

ج- أن يتكيّف مع هذه الشرائط الحاكمة عليه فيلبي حاجته ضمن الإطار الشرعي ؛ وذلك بالزواج بامرأة — ليس لها مانع شرعي من التزويج به — لمدة معينة .

أما الطريق الأول فهو طريق فاشل غالباً ؛ وإن كان عدد قليل من الشباب ينجح في صبره ومقاومته وتحمّله ، ولكن هذا الطريق لا يمكن تطبيقه على الجميع بلا ريب .

وأما الطريق الثاني فعاقبة سالكه هي الضلال المبين ، وهو طريق محرّم ؛ فهو عمل حرام شرعاً كما لا يخفى . كما أن تجويزه بحجّة الضرورة نوعٌ من الضلال والانحراف الفكري أيضاً .

وعليه فلا يبقى سوى الطريق الثالث الذي أبداه واقترحه لنا الشرع الإسلامي المقدّس ، والذي عمل به المسلمون في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ، وإنّما وقع الخلاف فيه بعده (صلى الله عليه وآله) .

ولابدّ من التنبيه على أمر هو : إنّ الذين يتخوّفون من نكاح المتعة ، ويعتقدون أنّه نكاح غير مشروع عليهم أن يلتفتوا إلى أن فقهاء المسلمين أجمع يرون صحّة نظيره في العقد الدائم وذلك إذا نوى الزوجان عند العقد إيقاع الطلاق بعد سنة مثلاً فإن هذا العقد وإن كان دائماً صورة لكنه مؤقت حقيقة ومع ذلك يراه الفقهاء صحيحاً . نعم الفرق بين هذا العقد الدائم والمؤقت هو أنّ هذا العقد ظاهره دائم وباطنه مؤقت ، وعقد المتعة ظاهره وباطنه مؤقت .

فمن يرى صحّة أمثال هذا العقد الدائم — والذي يحكم بصحته جميع فقهاء المسلمين — كيف يفسح لنفسه المجال للتخوّف من تجويز المتعة !

وبهذا اتّضحت حقيقة عقد المتعة ، بقي الكلام في أدلّة مشروعيتها ، ومن المناسب أن نطرح هذا البحث ضمن مرحلتين ، هما :

1- مشروعية نكاح المتعة .

2- عدم نسخ المتعة في زمان النبي (صلى الله عليه وآله) .

أما أدلّة مشروعيتها ، فمن أوضح الأدلّة عليها قوله تعالى :

(فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) (139) .

ومن الواضح أنّ هذه الآية واردة في النكاح المؤقت ؛ فإنّها :

أولاً: ان الآية استعملت لفظ : «استمتعتم» ، وهذا اللفظ ظاهر في نكاح المتعة ، ولو أُريد العقد الدائم منه للزم نصب قرينة عليه ، ولا قرينة في الآية .

ثانياً: ان الآية استعملت لفظ : «أجورهن» ، وهو قرينة واضحة على إرادة نكاح المتعة ، لأنها لو أرادت العقد الدائم لعبرت بـ «مهورهن» أو بـ «صداقهن» ونحو ذلك من التعابير الدالة على المهر .

ثالثاً: صرح المفسرون — سنة وشيعة — بأن الآية نزلت في نكاح المتعة . فنقل جلال الدين السيوطي في تفسيره المعروف «الدر المنثور» عن ابن جرير والسدي أن الآية نزلت في نكاح المتعة . كما روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن السدي ومجاهد وابن عباس أن الآية في النكاح المؤقت .

رابعاً: هذا الأمر مما سلم به أصحاب الصحاح والمسانيد وأصحاب الجوامع الحديثية ، وعلى سبيل المثال نقل إليك ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع قالا :

«خرج علينا منادي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أذن لكم ان تستمتعوا ، يعني متعة النساء»⁽¹⁴⁰⁾ .

والروايات المسندة والصحيحة لا يسعها المقام ، وعليه فأصل تشريع المتعة في صدر الإسلام وفي عصر النبي (صلى الله عليه وآله) ثابت لدى العلماء والمفسرين⁽¹⁴¹⁾ .

بقي الكلام في أن آية المتعة هل هي منسوخة أم لا ؟ حيث أنك قلما تجد من ينكر مشروعية المتعة في زمان النبي (صلى الله عليه وآله) إنما الكلام في نسخ الآية وعدمه .

الروايات الشريفة والتاريخ يثبت أن المتعة كانت معمولاً بها في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) وبعده إلى زمان خلافة الخليفة الثاني ، وقد منعها الخليفة الثاني ونهى عنها لمصالح خاصة؛ فروى مسلم في صحيحه عن أبي نضرة قال :

«كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال : إن ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعين ، فقال جابر : فعلناهما مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ثم فمانا عنهما عمر فلم نعد لهما»⁽¹⁴²⁾ .

وقال السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» :

(140) صحيح مسلم ، ج 4 ، ص 130 .

(141) على نحو المثال نشر إلى بعض مصادرها :

(أ) مسند أحمد ، ج 4 ، ص 436 ، و ج 3 ص 356 . (ب) الموطأ للملك ، ج 2 ، ص 30 . (ج) سنن البيهقي ، ج 7 ، ص 306 . (د) تفسير الطبري ج 5 ، ص 9 . (هـ) النهاية لابن الأثير ، ج 2 ، ص 249 . (و) تفسير الرازي ، ج 3 ، ص 201 . (ز) تاريخ ابن خلكان ، ج 1 ، ص 359 . (ح) أحكام القرآن للحصاص ، ج 2 ، ص 178 . (ط) المحاضرات للراغب ، ج 2 ، ص 94 . (الجامع الكبير للسيوطي ، ج 8 ، ص 293 . (ي) فتح الباري لابن حجر ، ج 9 ، ص 141 .

(142) صحيح مسلم ، ج 4 ، ص 59 ، وأيضاً : ص 131 . السنن الكبرى للبيهقي ، ج 7 ، ص 206 .

أخرج عبد الرزاق وأبو داود في ناسخه وابن جرير عن الحكم أنه سئل عن هذه الآية
أمسوخة؟ قال: لا. وقال علي: لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا
شقي» (143)

وروى القوشجي في شرح التجريد عن عمر أنه قال على المنبر:

«أيها الناس، ثلاث كنّ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنا أنهى عنهنّ،
وأحرّمهنّ، وأعاقب عليهنّ: متعة النساء، ومتعة الحج، وحيّ على خير العمل» (144).

وتنبغي الإشارة إلى أن الروايات الواردة في المقام أكثر مما يسعها المقام.

كما ينبغي التنبيه على أن المتعة من أقسام النكاح، إذ ينقسم النكاح إلى دائم ومؤقت، والمرأة التي
يُعقد عليها بعقد المتعة هي زوجة للإنسان، وكذا فإن الرجل يكون زوجاً لها، وعليه فالآيات الواردة
في الزواج تكون شاملة له أيضاً، فإذا قال القرآن:

(وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مُلُومِينَ) (145).

فالمرأة التي دخلت في زوجية الرجل بعقد مؤقت — ضمن الشرائط السالفة — داخلة في قوله تعالى:
(إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ) وليست خارجة عن نطاق الآية الشريفة، بمعنى أن هذه المرأة — التي دخلت في
حباله الرجل بعقد المتعة — زوجة لهذا الرجل ويشملها عنوان (أَزْوَاجِهِمْ) الوارد في الآية.

وإذا كانت الآيات المذكورة تميز العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة لطائفتين فحسب، هما:
الزوجات والإماء، فالمرأة المتمتع بها تكون داخلة في القسم الأول وهو الزوجات.

والعجب من قول البعض حيث قال: إن الآيات من سورة «المؤمنون» ناسخة لآية المتعة الواردة في
سورة النساء، مع وضوح أن نزول الآية الناسخة يجب أن يكون بعد نزول المنسوخة، مع أن المقام
ليس كذلك؛ فآية المتعة متأخرة نزولاً عن الآيات في سورة «المؤمنون»، فسورة «المؤمنون» مكّية (أي
أما نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله) في مكة قبل هجرته للمدينة)، وسورة النساء مدنيّة (أي أتت
نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله) في المدينة المنورة بعد هجرته إليها)، وآية المتعة وردت فيها.
فكيف يمكن أن تكون الآية المكّية ناسخة لآية مدنية!؟

والدليل الآخر على عدم نسخ آية المتعة هو الروايات الكثيرة المصروفة بعدم نسخها في حياة النبي
(صلى الله عليه وآله)، نظير الرواية التي نقلناها عن السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» (146)، وتقدم
توضيحها.

(143) الدر المنثور للسيوطي، ج 2، ص 140.

(144) شرح التجريد للقوشجي، ص 484.

(145) المؤمنون: 5 و 6.

(146) الدر المنثور، ج 2، ص 140 و 141، ذيل آية المتعة.

وفي ختام المطاف نشير إلى أنّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والذين هم الهداة للأمة والقرين الذي لا ينفك للقرآن — بمقتضى حديث الثقلين — صرّحوا بعدم نسخ زواج المتعة⁽¹⁴⁷⁾ .

ويمكن تأييد حلّية النكاح المؤقت مع رعاية شرائطه المذكورة بأنّ الشريعة الإسلامية المقدّسة قادرة على حلّ المشاكل والمعضلات التي تواجه المجتمعات البشرية في جميع العصور ، فإنّ أحد الأساليب لنجاة الشباب من الانحراف في سيول الانحراف والضلال هو النكاح المذكور بشرائطه السالفة .

(147) انظر : وسائل الشيعة ، ج 14 ، ص 436 ، كتاب النكاح ، الباب الأول من أبواب المتعة .

لماذا يسجد الشيعة على التربة ؟

يعتقد طائفة من الناس أنّ السجود على التربة أو السجود على تربة الشهداء هو نوع عبادة للتربة وهو من الشرك بالله العظيم .

الجواب :

للإجابة على هذا السؤال لابدّ من التنبيه على وجود فرق واضح بين عبارتي «السجود لله» و «السجود على الأرض» ، وأساس الشبهة في السؤال المذكور هو الخلط بين العبارتين وعدم الفرق بينهما .

من المتسالم عليه أنّ مفاد عبارة «السجود لله» هو أن يكون السجود لله ، مع أنّ مفاد جملة «السجود على الأرض» أنّ السجود يكون على الأرض . وبعبارة أخرى أننا في سجودنا على الأرض نسجد لله سبحانه وتعالى . وأساساً فإن سجود المسلمين أجمع لابدّ ان يقع على شيء ما ، والحال أنّ سجودهم لله سبحانه ، وجميع الحجاج يسجدون على أرض وأحجار المسجد الحرام مع أنّهم لا يريدون بسجودهم أحداً غير الله .

وبهذا البيان اتضح أنّ السجود على الأرض والنبات ليس عبادة لها ، وإنما هو خضوع وعبادة لله بالخضوع له إلى حد السجود على التراب . كما اتضح أنّ السجود على التربة غير السجود للتربة . فمن جانب نجد القرآن يقول :

(وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)⁽¹⁴⁸⁾ .

ومن جانب آخر يقول نبينا (صلى الله عليه وآله) :

«جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»⁽¹⁴⁹⁾ .

وعليه فالسجود لله لا ينافي السجود على الأرض أو على التربة ، وإنما بينهما تمام الانسجام والملاءمة ؛ فالسجود على التراب والنبات رمز لشدة الخضوع والتذلل لله الواحد القهار .

ولأجل ايضاح ما تقول به الشيعة في المقام لا بأس بالإشارة إلى مقطع من كلام إمامنا ورئيس مذهبنا الصادق المصدّق جعفر بن محمد (عليه السلام) :

قال هشام بن الحكم لأبي عبد الله (عليه السلام) : أخبرني عما يجوز السجود عليه وعمّا لا يجوز ! قال : السجود لا يجوز إلاّ على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلاّ ما أكل أو بُس . فقال له : جعلت فداك ما العلة في ذلك ؟ قال : لأن السجود خضوع لله عزّ وجلّ

(148) الرعد : 15 .

(149) صحيح البخاري ج 1 ، ص 91 كتاب الصلاة .

فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل أو يلبس لأن أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون ،
والساجد في سجوده في عبادة الله عزّوجلّ فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده على معبود
أبناء الدنيا الذين اغتروا بغرورها ، والسجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع
والخضوع لله عزّوجلّ»⁽¹⁵⁰⁾ .

فهذا الكلام النوراني واضح في أنّ علة السجود على التراب هو انسجامه مع شدة الخضوع لله
سبحانه وتعالى .

* * * * *

وهنا سؤال آخر يُطرح في المقام وهو : لماذا يرى الشيعة أنفسهم مقيّدون بالسجود على التراب
والنباتات ولا يسجدون على كلّ شيء ؟

وفي الجواب عليه نقول: كما أنّ أصل العبادة يجب أن تصل إلينا من الشارع المقدس ، فكذا كيفيتها
وشرائطها لا بدّ أن تصل إلينا منه ؛ من قول النبيّ (صلى الله عليه وآله) أو فعله أو تقريره ؛ فان النبيّ أسوة
للناس أجمع بصريح القرآن الكريم .

وإليك بعض المختارات من الأحاديث الإسلاميّة التي تبين سيرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، والتي هي
أجمع تبين أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يسجد على التراب أو على ما أنبتت الأرض كالخصير ،
على النحو الذي يعتقد به الشيعة :

1- روى جملة من المحدثين في صحاحهم ومسانيدهم قول النبيّ (صلى الله عليه وآله) الذي يبين فيه
للناس أنّ الأرض مسجدة له (صلى الله عليه وآله) وذلك قوله :
«جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»⁽¹⁵¹⁾ .

فكلمة «جعلت» في الحديث للتشريع والتقنين ، فتفيد أنّها حكم إلهي للمسلمين ، فيثبت به
مشروعية السجود على التراب والأحجار والصخور ومطلق وجه الأرض .

2- دلت مجموعة من الروايات على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يأمر المسلمين بالسجود على
التراب كما روت لنا أم سلمة عنه (صلى الله عليه وآله) :
«تربّ وجهك لله تعالى»⁽¹⁵²⁾ .

فإنّ صيغة «تربّ» تفيد أمرين ؛ أحدهما : أنّ الإنسان عند سجوده يجب عليه أن يضع جبهته على
التراب . والثاني : أنّ هذا أمر يجب العمل به ؛ لأنّ صيغة «تربّ» فعل أمر من مادة التراب ، وصيغة
الأمر تدل على الوجوب .

(150) من لا يحضره الفقيه ، ج 1 ، ص 272 ، ح 843 . بحار الأنوار ، ج 85 ، ص 147 نقلاً عن علل الشرائع .

(151) صحيح البخاري ج 1 ، ص 91 كتاب الصلاة . سنن البيهقي ، ج 1 ، ص 212 باب التيمم بالصعيد الطيب .

(152) كنز العمال ، ج 7 ، ص 465 ، ح 19809 . مسند احمد بن حنبل ، ج 6 ، ص 323 .

3 - فعل النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرته دليل واضح للمسلمين، فروى

وائل بن حجر :

«رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) إذا سجد وضع جبهته وأنفه على الأرض»⁽¹⁵³⁾.

وروى أنس بن مالك وابن عباس وبعض نساء النبي (صلى الله عليه وآله) كأم سلمة وعائشة وعدد من الحديثين :

«كان النبي (صلى الله عليه وآله) يصلي على الخمرة»⁽¹⁵⁴⁾»⁽¹⁵⁵⁾.

وروي عن الصحابي أبي سعيد الخدري :

«أنه دخل على النبي (صلى الله عليه وآله) - قال : - فرأيته يصلي على حصير يسجد عليه»⁽¹⁵⁶⁾.

4- أقوال وأفعال الصحابة كاشف آخر عن سنة النبي (صلى الله عليه وآله) ، فيقول جابر بن عبد الله الأنصاري :

«كنت أصلي الظهر مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذ قبضة من الحصير لتبرد في كفي أضعها لجبهتي أسجد عليها لشدة الحر»⁽¹⁵⁷⁾.

قال البيهقي :

«ولو جاز السجود على ثوب متّصل به لكان ذلك أسهل من

تبريد الحصا في الكف ووضعها للسجود عليها وبالله التوفيق»⁽¹⁵⁸⁾.

وروى ابن سعد (المتوفى سنة 209 هـ ق) في كتابه المعروف «الطبقات» :

«كان مسروق إذا خرج يخرج بلبنة يسجد عليها في السفينة»⁽¹⁵⁹⁾.

الجدير بالذكر أن مسروق بن الأجدع من التابعين ومن أصحاب ابن مسعود ، وقد عده صاحب الطبقات من الطبقة الأولى من أهل الكوفة ، وفي عداد من روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (عليه السلام) وعبد الله بن مسعود .

(153) أحكام القرآن للحصاص ، ج 3 ، ص 209 (طبع بيروت) ، باب السجود على الوجه .

(154) الخُمْرَةُ: حصيرة أو سَجَادَةٌ صغيرة تنسج من سَعَفِ النخل و تُرْمَلُ بالخيوط، وقيل: حصيرة أصغر من المُصَلَّى، وقيل: الخُمْرَةُ الحصير الصغير الذي يسجد عليه. وفي الحديث: «أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يسجد على الخُمْرَةِ» ؛ وهو حصير صغير قدر ما يسجد عليه ينسج من السَعَفِ (لسان العرب : 4 / 386 / خمر) .

(155) صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 101 ، باب الصلاة على الخمرة . سنن ابن ماجه ، ج 1 ، ص 328 ، ح 1028 ، باب الصلاة على الخمرة . مسند احمد بن حنبل ، ج 1 ، ص 269 ، و ج 3 ، ص 52 .

(156) صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 62 . مسند احمد بن حنبل ، ج 3 ، ص 52 .

(157) سنن أبي داود ، ج 1 ، ص 100 . المستدرک على الصحيحين ، ج 1 ، ص 195 . السنن الكبرى للبيهقي ج 1 ، ص 439 .

(158) السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ، ص 105 .

(159) الطبقات الكبرى ، ج 6 ، ص 79 .

فهذا الكلام يوضح لنا وهن وبطلان قول من يدعي أن السجود على التربة شرك وبدعة ، حيث انه يثبت لنا أن المسلمين في العصر الأول كانوا يفعلون ذلك⁽¹⁶⁰⁾ .

ويقول نافع :

«إن ابن عمر كان إذا سجد وعليه العمامة يرفعها حتى يضع جبهته بالأرض»⁽¹⁶¹⁾ .

كما يقول رزين مولى ابن عباس :

«كتب إلي علي بن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) أن إبعث إلي بلوح من أحجار المروة أسجد عليه»⁽¹⁶²⁾ .

5- روى المحدثون الإسلاميون روايات تدل على أن النبي (صلى الله عليه وآله) نهى عن وضع طرف العمامة بين الجبهة والأرض عند السجود . يقول صالح بن حيوان السبائي :

«ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأى رجلاً يسجد بجنبه وقد اعتم على جبهته ، فحسر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبهته»⁽¹⁶³⁾ .

وروى عياض بن عبد الله القرشي :

«رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجلاً يسجد على كور عمامته ، فأوماً بيده : ارفع عمامتك ، واوماً إلى جبهته»⁽¹⁶⁴⁾ .

فهذه الروايات تدل بوضوح على أن السجود على الأرض كان أمراً مسلماً بين المسلمين في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) بحيث لو وضع أحد المسلمين طرف ثوبه أو عمامته على الأرض ليسجد عليه لنهاه النبي (صلى الله عليه وآله) .

6- صرح به أئمتنا المعصومون الذين هم قرين القرآن على ما صرح به حديث الثقلين ، ومن جانب آخر فهم أهل بيت نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله) ، فعن إمامنا الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) : «السجود على الأرض فريضة وعلى الخمرة سنة»⁽¹⁶⁵⁾ .

وقال (عليه السلام) أيضاً :

«السجود لا يجوز إلا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلا ما أكل أو لبس»⁽¹⁶⁶⁾ .

(160) ولمزيد الاطلاع على الشواهد التاريخية الأخرى راجع كتاب «سيرتنا» تأليف العلامة الأميني (رحمه الله).

(161) السنن الكبرى للبيهقي ، ج 2 ، ص 105 .

(162) أخبار مكة للازرقي ، ج 3 ، ص 151 .

(163) السنن الكبرى للبيهقي ، ج 2 ، ص 105 .

(164) السنن الكبرى للبيهقي ، ج 2 ، ص 105 .

(165) الكافي ، ج 3 ، ص 331 ، ح 8 . وسائل الشيعة ، ج 3 ، ص 593 ، ح 7 ، كتاب الصلاة ، أبواب ما يسجد عليه .

(166) من لا يحضره الفقيه ، ج 1 ، ص 272 ، ح 843 . بحار الأنوار ، ج 85 ، ص 147 نقلاً عن علل الشرائع . وسائل الشيعة ، ج 3 ،

ص 591 ، ح 1 ، كتاب الصلاة ، أبواب ما يسجد عليه .

تبيّن بوضوح من خلال عرضنا للأحاديث والأدلة المختلفة أنّ السجود على الأرض وما أنبتت — إلّا ما أكل أو لبس — لا يختصّ بروايات أهل البيت (عليهم السلام) ، بل هو ثابت في سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وسيرة الصحابة والتابعين .

أضف إلى ذلك كلّه أنّ السجود على الأرض وما أنبتت — دون المأكول والملبوس — مما لا ريب ولا خلاف في جوازه ، وأما غيره ففيه الخلاف والترديد ، والاحتياط — الذي هو سبيل النجاة — يقتضي الاكتفاء بما وعدم السجود على غيرها كما هو واضح .

وفي الختام نشير إلى أنّ هذه مسألة فقهية ، والخلاف فيها — كغيرها من الفروع — بين فقهاء الإسلام طبعي ، فلا ينبغي أن يكون مثاراً للتوتر بين المسلمين ، فنحن نجد الخلاف في المسائل الفقهية الكثيرة بين الفرق الأربعة لأهل السنة أيضاً ، فمثلاً يرى المالكية استحباب وضع الأنف عند السجود على ما يسجد عليه ، ويرى الحنابلة وجوب ذلك ، بل جعلوا تركه موجبا لبطلان السجود⁽¹⁶⁷⁾ .

(167) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ، ج 1 ، ص 161 (طبع مصر) ، كتاب الصلاة ، بحث السجود .

لماذا يتبرك الشيعة بأبواب وجدران المشاهد عند زيارتهم لها ؟

الجواب :

التبرك بآثار الأولياء ليس أمراً جديداً حصل اليوم عند فرقة إسلامية ، بل له جذور قديمة في التاريخ ترجع إلى حياة نبينا (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الكرام ، بل إلى الأنبياء السابقين أيضاً . وإليك أدلة مشروعية التبرك بآثار أولياء الله في نظر الكتاب والسنة :

1- نقرأ في الذكر الحكيم في قصة يوسف (عليه السلام) أنه عندما عرف نفسه الشريفة لاختوته واستغفر لهم قال لهم :

(اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَ أَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)⁽¹⁶⁸⁾ .

ثم يقول تعالى :

(فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا)⁽¹⁶⁹⁾ .

فهذا الكلام القرآني الواضح صريح في أن نبي الله يعقوب (عليه السلام) تبرك بقميص ولده نبي الله يوسف (عليه السلام) ، وأن القميص كان سببا لرجوع بصر يعقوب (عليه السلام) . فهل يمكن القول بأن فعل هذين النبيين كان خارجاً عن اطار التوحيد ؟ !

2- لا شك ولا ريب أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يطوف بالبيت الحرام ، ويستلم الحجر ، ويقبله . فروى البخاري في صحيحه عن الزبير بن عري قال سألت رجل ابن عمر عن استلام الحجر فقال :

« رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يستلمه ويقبله »⁽¹⁷⁰⁾ .

فاذا كان لمس الحجر وتقبيله شرك لما فعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي يدعو الناس للتوحيد !

3- نجد في مطاوي الروايات الكثيرة والتي رواها أصحاب الصحاح والمسانيد أن الصحابة كانوا يتبركون بآثار النبي (صلى الله عليه وآله) ؛ من لباسه ، وفضالة ماء وضوئه ، وإنائه ، و... فعند مراجعة هذه الأخبار لا يبقى مجال للشك في حسنه ومشروعيته .

وبما أن الكتاب لا يسع لنقل جميع هذه الروايات واستقصائها ، ننقل إليك نماذج منها ، هي :

(168) يوسف : 93 .

(169) يوسف : 96 .

(170) صحيح البخاري ، ج 2 ، ص 162 .

أ- روى البخاري في صحيحه رواية طويلة في بيان بعض خصوصيات النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه ، جاء فيها :
«وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه»⁽¹⁷¹⁾ .

ب - روى مسلم في صحيحه عن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) :
«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحكنهم»⁽¹⁷²⁾ .

ج - وروى الترمذي في سننه عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن جدته كبشة
قالت :

«دخل عليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فشرّب من في قربة معلقة قائماً ، فقمْتُ إلى فيها
فقطعتُه»⁽¹⁷³⁾ .

وقال محمد طاهر المكي :

«رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح . وقال شارح الحديث في كتاب رياض
الصالحين : وقطع أم ثابت لعم القربة لتحفظ موضعاً أصابه فم رسول الله (صلى الله
عليه وآله) للتبرّك به والاستشفاء ، فكان الصحابة يحاولون الشرب من الموضع الذي
شرب منه رسول الله (صلى الله عليه وآله)»⁽¹⁷⁴⁾ .

د - روى مسلم في صحيحه عن انس بن مالك قال :

«كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا صلّى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء فما
يؤتى يناء إلاّ غمس يده فيها ، فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها»⁽¹⁷⁵⁾ .

وبهذا اتضحت أدلة جواز التبرّك بآثار الصالحين والأولياء ، وعلم بذلك أنّ الذين يتّهمون الشيعة
بالشرك — بسبب تبرّكهم بآثار الأولياء — لم يفهموا معنى التوحيد والشرك فهماً صحيحاً ، فالمعنى
الصحيح للشرك هو أن يُعتقد ألوهية موجود وعبادته إلى جانب عبادة الله سبحانه وتعالى ، أو نسبة
الأفعال الإلهية لذلك الموجود بنحو يُنسب أصل الوجود أو أثره — بنحو الاستقلال عن الله سبحانه
وتعالى — إلى هذا الموجود . مع أنّ الشيعة يعتقدون أنّ أولياء الله وآثارهم مخلوقون له سبحانه ، فهم في
أصل وجودهم وفي آثارهم محتاجون للباري سبحانه وتعالى ولا غنى لهم عنه .

وإنما يتبرّك الشيعة بآثار الأولياء احتراماً لهم ؛ باعتبارهم القدوة الصالحة ، ولأجل إبراز محبتهم لهم .
فإذا قبل الشيعة ضريح رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو ضريح أحد من أهل بيته عند زيارته ، أو

(171) صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 180 .

(172) صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 164 و ج 6 ، ص 176 . الإصابة ، ج 1 ، ص 7 ، خطبة الكتاب .

(173) سنن الترمذي ، ج 3 ، ص 204 ، ح 1954 .

(174) تبرك الصحابة ، الفصل الأول ، ص 29 . شرح مسلم للنووي ، ج 31 ، ص 194 .

(175) صحيح مسلم ، ج 7 ، ص 79 .

طافوا حوله وتمسّحوا به ، فهو بسبب حبّهم للنبيّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) ،
وهذا أمر عاطفي في وجود الإنسان ، ولهذا يقول الشاعر :

أقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارِ أَمْرٌ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارٍ لَيْلِي
وَلَكِنْ حُبٌّ مِنْ سَكَنِ الدِّيَارِ وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفَنَ قَلْبِي

هل الدين مفصول عن السياسة في نظر الإسلام؟

الجواب :

من المناسب واللائق ان نبين معنى السياسة أولاً وعلى ضوءها تتضح الرابطة بين الدين والسياسة ،
وعليه فنقول : للسياسة هنا معنيان أو احتمالان ، هما :

1- أن يكون المراد منها هو استعمال الحيل والخدع للوصول إلى الهدف ، وبعبارة أخرى : الغاية تبرر الوسيلة .

ومن الواضح جداً أن السياسة بهذا المعنى ليست سياسة واقعية ، بل هي مجرد تمويه وتضليل وخداع الآخرين ، وهي بهذا المعنى لا تنسجم مع الدين أصلاً .

2- أن يكون المراد منها هو تدبير الأمور والشؤون المختلفة في حياة المجتمع ، وذلك باتباع الأصول الإسلامية الصحيحة على مختلف الأصعدة والمستويات .

والسياسة بهذا المعنى تعني إدارة المسلمين والاهتمام بشؤونهم المختلفة على ضوء القرآن والسنة الشريفة ، وهذه السياسة جزء لا ينفك عن الدين .

وإليك بعض أدلة انسجام الدين مع السياسة ، وضرورة إقامة حكومة إسلامية :

فمن أوضح الأدلة على ما ذكرناه هو سيرة نبينا الكريم(صلى الله عليه وآله) في أيام البعثة الشريفة ، فإن المراجع لحياته الميمونة وكلماته الوضاعة يجد بوضوح أنه(صلى الله عليه وآله) كان — منذ أوائل البعثة — بصدد إنشاء وتأسيس حكومة إسلامية مقتدرة وقوية تعتمد على أساس الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، ولها القدرة على تنفيذ أهداف الإسلام العزيز .

ومن المناسب أن نذكر هنا بعض الشواهد التاريخية على عزم النبي على ذلك :

النبي(صلى الله عليه وآله) هو المؤسس للحكومة الإسلامية

1- عندما جاء الأمر الإلهي بإعلان الدعوة للإسلام حاول النبي(صلى الله عليه وآله) بشتى الوسائل تأسيس نواة الهداية ومواجهة الباطل وحاول جمع المسلمين فيها ، وفي هذا المجال التقى بالجماعات الوافدة من قريب وبعيد لزيارة وحج بيت الله الحرام ودعاهم للإسلام ، فكان ممن التقى بهم في خلال ذلك جماعتين من أهل المدينة التقى بهم في منطقة يقال لها : «العقبة» ، فاتفقوا وتعاهدوا على ان يدعوه إلى مدينتهم ويدافعوا عنه ويحموه⁽¹⁷⁶⁾ . وبهذا كانت أول نواة زرعها وأول خطوات خطاها رسول الله(صلى الله عليه وآله) لتأسيس حكومة إسلامية .

(176) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ، ج 1 ، ص 431 (طبعة مصر) .

2- أسّس رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد هجرته إلى المدينة المنورة جيشاً قوياً ، ذلك الجيش الذي شارك أثناء فترة تبليغ الرسالة في اثنين وثمانين معركة فحاز على النصر في الكثير منها ، وبذلك رفع المانع عن تشكيل الحكومة الإسلاميّة .

3- بعد قيام الدولة الإسلاميّة في المدينة وتشييد أركانها واستقرارها ، أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يبعث السفراء والرسائل والكتب إلى ملوك ورؤساء الدول في عصره ، وعقد مع كثير من رؤساء القبائل العهود والاتفاقيات الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

وقد ذكر لنا التاريخ خصوصيات رسائل النبي (صلى الله عليه وآله) إلى بعض الأمراء ، كرسالته إلى «كسرى» ملك الفرس ، و«قيصر» ملك الروم ، و«مقوقس» أمير مصر ، و «النجاشي» أمير الحبشة . وقد جمع بعض المحققين هذه الرسائل في كتاب مستقلّ .

4- لتقوية أركان الدولة والوصول إلى أهداف الإسلام الرفيعة عيّن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممثلين له وأمراء لكثير من القبائل والمدن ، ونحن ننقل إليك مثلاً من ذلك :

عيّن النبي (صلى الله عليه وآله) رفاعة بن قيس سفيراً وممثلاً عنه في قبيلته ، وكتب إلى قومه كتاباً فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد ، إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل ففي حزب الله ورسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين»⁽¹⁷⁷⁾ .

فمع أخذ هذه الأفعال وأمثالها بنظر الاعتبار لا يبقى شك في أن النبي (صلى الله عليه وآله) منذ أوائل البعثة كان بصدد تشكيل حكومة قوية كي ينشر تحت ظلّها الإسلام في أرجاء العالم وليدخل الإسلام في المجالات المختلفة من حياة البشر .

فأفعال النبي (صلى الله عليه وآله) المذكورة من تعيين الأمراء والسفراء والممثلين ، وعقد العهود والمواثيق مع القبائل ، وتأسيس جيش قوي ، وتحذير الملوك والأمراء في الممالك المختلفة ومكاتبتهم ، هل هي إلا السياسة بمعناها الثاني ؛ أعني تدبير أمور المسلمين وإدارة المجتمع الإسلامي !!

كما أن سيرة الخلفاء الراشدين وخصوصاً أمير المؤمنين (عليه السلام) — مع المسلمين سنة وشيعة أيام خلافته — تشهد للتوفيق بين الدين والسياسة .

مع أن علماء المسلمين من كلا الفريقين أقاموا الأدلة من الكتاب والسنة على لزوم إدارة أمور المسلمين وحكومتهم ، ونحن ننقل إليك بعض الأدلة التي أقاموها على ذلك على سبيل المثال :

قال أبو الحسن الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية» :

(177) المعجم الكبير للطبراني ، ج 5 ، ص 52 . مكاتيب الرسول ، ج 2 ، ص 468 .

«الإمامة موضوعة لخلافة النبوة، في حراسة الدين، وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع» (178) .

وهذا العالم المسلم — الذي هو أحد علماء أهل السنة المشهورين — يتمسك في مقام إثبات هذا المعنى بدليلين هما :

1- الدليل العقلي .

2- الدليل النقلى .

ويقول في مقام بيان الدليل العقلي :

«ذهب قوم إلى أنّ وجوبها ثابت بالعقل ، لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ، ويفصل بينهم عند التنازع والتخاصم، ولولا ذلك لكانوا فوضى مهملين ، وهمجاً مضاعين» (179) .

وذكر في مقام بيان الدليل العقلي :

«ولكن جاء الشارع بتفويض الأمور إلى وليّه في الدين ، قال الله عزّوجلّ: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ) ففرض علينا طاعة أولي الأمر فينا وهم الأئمة المتأمرّون علينا» (180) .

وروى الشيخ الصدوق عن الفضل بن شاذان النيشابوري رواية طويلة منسوبة للإمام عليّ بن موسى الرضا(عليه السلام) جاء في بعض مقاطعها بيان أهميّة تشكيل الحكومة لإدارة شؤون المسلمين ، وإليك بعض فقراتها :

«أنا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملّة من الملل بقوا وعاشوا إلّا بقيم ورئيس؛ لما لا بدّ لهم من أمر الدين والدنيا ، فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق لما يعلم أنه لا بدّ لهم منه ولا قوام لهم إلّا به ، فيقاتلون به عدوّهم ، ويقسمون به فيهم ، ويقوم لهم جمعهم وجماعتهم ، ويمنع ظالمهم من مظلومهم» (181) .

وذكر جميع الروايات الدالة على ذلك ، وأقوال الفقهاء في المسألة ، وتحليلها ليس من شأن هذا الكتاب ؛ فإنّه بحاجة إلى تفصيل لا يناسب وضع كتابنا هذا ، بل هو بحاجة إلى كتاب آخر مفصّل . كما أنّه يتبين من خلال المراجعة الدقيقة والشاملة لأبواب الفقه الإسلامي أنّ جملة كثيرة من القوانين والأحكام الشرعيّة لا يمكن تطبيقها في المجتمع إلّا من خلال إقامة حكومة قويّة ؛ فالإسلام أمرنا بالجهاد ، والدفاع ، والوقوف بوجه الظالم ، والدفاع عن المظلوم ، وإقامة الحدود والتعزيرات ، والأمر

(178) الأحكام السلطانيّة : الباب الأول ص 5 ، (الطبعة الأولى / مصر) .

(179) المصدر السابق .

(180) المصدر السابق .

(181) علل الشرائع : الباب 182 ، ص 253 .

بالمعروف والنهي عن المنكر — ضمن نطاق واسع — ، وإجراء وتطبيق القوانين الماليّة والاقتصادية ، والاهتمام بوحدة المجتمع الإسلامي ، فهذه المذكورات لا يمكن تطبيقها والعمل بها من دون وجود حكومة قوية ؛ فالدفاع عن الإسلام والشريعة المقدّسة بحاجة إلى جيش عسكري مدرّب منظم ، ولا يمكن تشكيل هكذا جيش إلا من خلال حكومة قوية تعتمد على أسس الإسلام ومبانيه الرصينة .

وكذا إقامة الحدود والتعزيرات من أجل الحفاظ على الفرائض والواجبات ، والمنع عن المعاصي والمحرمات ، والانتصار للمظلوم من الظالم ، وسائر ما ذكرناه يتوقّف على وجود حكومة قويّة ونظام منسجم يسود المجتمع ، وإلا فإنه يلزم الاختلال والهرج والمرج في المجتمع .

وعلى الرغم من عدم انحصار أدلّة إقامة الحكومة الإسلاميّة فيما ذكرناه ، لكن تبين بوضوح من خلال ما ذكرناه من الأدلّة عدم انفصال الدين عن السياسة من جانب ، وأن إقامة حكومة تعتمد الإسلام أساساً لها أمر ضروري لا مفرّ منه ، وواجب شرعي على كلّ المسلمين في أنحاء العالم .

لماذا يقول الشيعة إنّ «الحسن» و «الحسين» أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟

الجواب :

يتضح من خلال مراجعة الروايات وكتب التفسير والتأريخ أنّ نسبة الحسين (عليهما السلام) لجدّهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليس من منفردات الشيعة ، بل هي مما يقول به أغلب المحققين الإسلاميين ، بل يمكن القول بأنّها من موارد الاتفاق بينهم .

والآن نستعرض لك بعض الأدلّة على المسألة من خلال القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وأقوال العلماء والمفسرين . وينبغي ان يعلم أنّ القرآن الكريم يعدّ من كان من صلب الإنسان أو من ذريته أولاداً له ، سواء كان ذكراً أو أنثى . علماً أنّه توجد شواهد كثيرة من الكتاب والسنة على ما نقول ، وإليك بعضها :

1- عدّ القرآن الكريم نبيّ الله عيسى (عليه السلام) من أولاد إبراهيم الخليل (عليه السلام) مع أنّه ابن مريم العذراء ، وهو ينتسب لإبراهيم من خلال أمّه ، وذلك في الآية التالية :

(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (182) .

حيث يرى العلماء أنّ الآية الشريفة دليل على أنّ الحسين (عليهما السلام) أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) . وإليك ما قاله جلال الدين السيوطي فروى في ذيل الآية الشريفة عن ابن أبي حاتم عن حرب بن أبي الأسود ، قال :

«أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال : بلغني أنك تزعم أنّ الحسن والحسين من ذرية النبي (صلى الله عليه وآله) ، تجده في كتاب الله ؟ ! وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ! قال : أأنت تقرأ سورة الأنعام (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) حتى بلغ (وَيَحْيَى وَعِيسَى) قال : بلى . قال : أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب ؟ قال : صدقت» (183) .

فالآية الشريفة وكلمات المفسرين تدلّ على أنّ تمام العلماء يقولون بأنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذريته .

2- ومن الآيات الدالّة بوضوح على صحة هذه النسبة هي آية المباهلة ، وإليك نصّ الآية وكلام

المفسرين في تفسير الآية :

(182) الأنعام : 84 و 85 .

(183) الدر المنثور ، ج 3 ، ص 28 (ذيل الآية) .

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (184) .

يقول المفسرون إن الآية المذكورة — والمعروفة بآية المباهلة — هي في واقعة مباهلة النبي (صلى الله عليه وآله) مع عظماء نصارى نجران ، فلما لم يدعوا للحق ، نزلت الآية المذكورة تأمر النبي بمباهلتهم مع علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ، فلما توجه النبي وأهل بيته للمباهلة خاف نصارى نجران على أنفسهم من نزول العذاب والغضب الإلهي ، فطلبوا من النبي ترك المباهلة والدعاء عليهم ، فاستجاب النبي لهم وترك المباهلة ، وانتهت القضية بعقد عهد وميثاق .

ولاتفق المسلمون من كلا الفريقين على أن الذين خرجوا للمباهلة مع النبي (صلى الله عليه وآله) هم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ، فمن الواضح أن المراد من (أبناءنا) هو الحسن والحسين ، وبهذا يتضح أن القرآن الكريم عدّ الحسين أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

هذا وقد ذكر المفسرون في تفسيرهم للآية المذكورة روايات كثيرة تدلّ على صحّة ما استفدناه وفهمناه من الآية وعلى سبيل المثال نذكر بعضها فيما يلي :

أ- قال السيوطي: «أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال قدم على النبي (صلى الله عليه وآله)... قال جابر: أنفسنا وأنفسكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليّ، وأبناءنا الحسن والحسين ، ونساءنا فاطمة» (185) .
فالمقصود من (أنفسنا) هو علي بن أبي طالب ، والمراد من (أبناءنا) هو الحسن والحسين ، والمراد من (نساءنا) هو فاطمة .

ب - قال فخر الدين الرازي بعد إيراده الرواية في تفسيره الكبير : «واعلم أنّ هذه الرواية كالمثقف على صحّتها بين أهل التفسير والحديث» (186) .
ثم قال :

«هذه الآية دالة على أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعد أن يدعو أبناءه فدعا الحسن والحسين فوجب أن يكونا ابنيه» (187) .
ج - وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره أيضاً :

«وفيه [يعني قوله : أبناءنا] دليل على أن أبناء البنات يسمون أبناء» (188) .

(184) آل عمران : 61 .

(185) الدر المنثور ، ج 2 ، ص 38 .

(186) مفاتيح الغيب ، ج 2 ، ص 488 (طبع مصر سنة 1308) .

(187) المصدر السابق .

(188) الجامع لأحكام القرآن ، ج 4 ، ص 104 (طبع بيروت) .

3- أقوال رسول الله(صلى الله عليه وآله) خير شاهد على أن الحسن والحسين(عليهما السلام) ولداه ، وإليك أمودجان من كلماته النورانية :

أ- قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) في الحسين(عليهما السلام) :

«عن ابن مسعود قال رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ بيد الحسن والحسين ويقول : هذان ابناي فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني»⁽¹⁸⁹⁾ .

ب - قال النبي (صلى الله عليه وآله) في الحسن والحسين(عليهما السلام) أيضاً :
«إن ابني هذين رحمتي من الدنيا»⁽¹⁹⁰⁾

(189) تاريخ مدينة دمشق ، ج 41 ، ص 151 .

(190) تاريخ مدينة دمشق ، ج 31 ، ص 202 .

لماذا تعتقد الشيعة أن الخلافة بالنصّ ؟

الجواب :

الدين الإسلامي الحنيف خاتم الأديان وهو دين خالد ولتمام البشرية ، ومن الواضح أنّ المتولّي لقيادة الأمة الإسلامية في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) هو نفس النبي ، وبعد رحيله إلى الملائكة الأعلى يجب أن تلقى هذه المسؤولية الخطيرة في عهدة خير الناس وأفضل الأمة .

السؤال المطروح هو : هل مقام الخلافة وقيادة الأمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) بأمر إلهي وتصريح نبوي ، أم أنها بالانتخابات ؟ تعتقد الشيعة أنه منصب إلهي يحتاج إلى نصّ وتعيين من الله سبحانه بواسطة نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) ، ويعتقد أهل السنة أنها بالانتخاب واختيار الأمة فرداً يقودها .

دلالة الشرائط الاجتماعية على أنّ الخلافة بالنصّ

ذكر علماء الشيعة في كتبهم الكلامية والعقائدية أدلة كثيرة على لزوم كون الخلافة بالنصّ ، لكن الذي يناسب المقام بيانه هو تحليل الشرائط الحاكمة على عصر الرسالة ، وبه يتضح صحة ما يعتقد الشيعة .

السياسة الداخلية والخارجية للإسلام في ذلك العصر تقتضي وتفرض تعيين الخليفة بنصّ إلهي عن طريق الوحي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ؛ وذلك أنّ مثلث الخطر — وهو الخطر الناشئ من امبراطورية الروم ، ومن مملكة الفرس ، ومن المنافقين — كان محيطاً بالأمة الإسلامية ويهددها بالفشل والزوال .

كما أنّ مصلحة الأمة الإسلامية كانت تقتضي وتوجب ان يعين النبي (صلى الله عليه وآله) قائداً سياسياً للأمة ؛ كي تظهر الأمة متّحدة أمام الأعداء والأحباب ، فلا يبقى مجال لنفوذ العدو للتسلط على زمام الأمور وإشاعة الخلافات الداخلية والانشقاقات .

توضيح المطلب

الامبراطورية الرومية — والتي هي أحد أضلاع مثلث الخطر المحدق بالمسلمين — تقع في شمال شبه الجزيرة العربية ، وقد شغل خطرها تفكير النبي (صلى الله عليه وآله) طيلة أيامه إلى آخر لحظات حياته الشريفة .

كانت أول مواجهة بين المسلمين وبين الجيش الصليبي القادم من الروم في السنة الثامنة من الهجرة في فلسطين ، وما انتهت المعركة إلاّ بشهادة ثلاث من قادة المسلمين ؛ هم : جعفر الطيار ، و زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ، وبالتالي فشل المسلمين في تلك الحرب .

إنَّ هزيمة المسلمين أمام جيش الكفر الصليبي أحدث جرأة عند الجيش الرومي ، مما بعث الخوف في نفوس المسلمين من هجومه على بلادهم في أي لحظة . ومن هنا تحرك النبي (صلى الله عليه وآله) بجيش ضخم باتجاه الشام في السنة التاسعة من الهجرة كي يقود المواجهة العسكرية المحتملة بنفسه ، وبهذا السفر الشاق أعاد المسلمون حيثيتهم السابقة ، وجددوا قدرتهم السياسيّة .

لكن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يقتنع بهذا النصر النسبي ، فأرسل جيشاً إلى الشام بقيادة «أسامة» ليكون قريباً من الميدان فيما لو حصل شيء يحذر منه .

وأما الضلع الثاني لمثلث الخطر وهو مملكة إيران ، فإنَّ الملك الإيراني آنذاك وهو «خسروبرويز» كان قد غضب على النبي (صلى الله عليه وآله) بسبب الرسالة التي وجهها إليه النبي ، بل لشدة غضبه مزق الرسالة وأهان رسوله وطرده ، وكتب إلى عامله على اليمن — والتي كانت مستعمرة للفرس مدة طويلة — بأن يقبض على النبي فان امتنع قتله .

وعلى الرغم من موت «خسروبرويز» في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ، لكن استقلال اليمن لم يُمخَّ من طموحات ملوك الفرس ، فلم تكن تسمح لهم أنفتّهم وجبروتهم بتحمّل وجود قدرة كقدرة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى جانبهم .

وأما الضلع الثالث لمثلث الخطر وهو خطر المنافقين الموجودين بين المسلمين أنفسهم فهو الطابور الخامس الذي يعمل دوماً في بثّ الفتنة بين المسلمين ، والإفساد ، وأعمال الشغب ، حتى أنّهم قصدوا اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) في طريقه من تبوك إلى المدينة ، وكان جملة منهم يقولون في أنفسهم : إن الإسلام سينتهي بموت النبي ، وبهذا يرتاح الجميع⁽¹⁹¹⁾ .

فهل من المعقول أن يترك النبي (صلى الله عليه وآله) الأمة الإسلاميّة الناشئة من دون خليفة مع وجود هكذا أعداء أقوياء يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر !!

بملاحظة الظروف الاجتماعيّة الحاكمة على الأمة الإسلاميّة آنذاك كان تعيين الخليفة أمراً حتمياً على النبي لئلاّ يحدث الخلاف وتنشأ الفرقة بعده ، وبهذا يؤسّس للأمة ساتراً دفاعياً حصيناً كي يحفظ وحدتها ، ويسد أبواب الفتن المحتملة بعد رحيله (صلى الله عليه وآله) بأن تقول كلّ فرقة وجماعة : «لابدّ ان يكون الأمير والخليفة متاً» ، فهذا كله لا يتسّى للنبي (صلى الله عليه وآله) إلاّ بتعيين الخليفة والقائد للأمة بعده رسمياً .

فملاحظة ما ذكرناه من الظروف الاجتماعيّة والسياسيّة الحاكمة على الأمة الإسلاميّة يؤيد صحّة وقوام نظريّة أنّ الخلافة بالتعيين ونصّ النبي (صلى الله عليه وآله) .

النصوص النبويّة وما تدلّ عليه

(191) اقتباس من كتاب «فروع ابديت» للأستاذ الشيخ جعفر السبحاني .

ملاحظة تلك الظروف الاجتماعية والسياسية الحاكمة على المجتمع الإسلامي ، ورعاية لجهات أخرى أيضاً حاول النبي (صلى الله عليه وآله) من أول أيام البعثة إلى آخر ساعات حياته الشريفة أن يلقي مفهوم الخلافة ويرسّخه في أذهان المسلمين ، فصرّح بذلك في أوائل أيام البعثة عند إعلان نبوته لأهله وعشيرته ، وأعلن بها في آخر أيامه عند رجوعه من حجة الوداع في غدير خم ، وبين هذين الموقفين في طيلة أيام حياته في المناسبات المختلفة ، وقد ذكرنا — في جوابنا على السؤال الثاني — ثلاث نماذج من هذه الأحاديث المعتمدة والتي رواها علماء المسلمين ومحدثوهم مع ذكر أسانيدها ومصادرها .

فبملاحظة الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة على المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام من جانب ، وملاحظة النصوص النبوية المختلفة في تعيين ونصب القائد والخليفة له (صلى الله عليه وآله) ، يظهر بوضوح أنّ النصّ على الخليفة أمر لا مفرّ منه ، وأنّ الخليفة منصوب عليه من النبي (صلى الله عليه وآله) .

السؤال الرابع والعشرون

هل القسم بغير الله شرك؟

الجواب :

لابدّ من تفسير عنواني «التوحيد» و «الشرك» على ضوء الكتاب والسنة الشريفة ; فإنّهما خير معيار لمعرفة الحق من الباطل والتوحيد من الشرك .

وعليه فمن الحريّ بنا أن نعرض كلّ الأفكار والأفعال على هذا المقياس القويم أعني مقياس الوحي وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) لنميز السليم القويم من المعيب والمعوج .

وإليك أدلّتنا الواضحة — من خلال الكتاب والسنة — على جواز الحلف بغير الله :

1- أقسم الباري سبحانه وتعالى في آيات كثيرة بمخلوقات نظير : «حياة النبي» و «نفس الإنسان» و «القلم» الذي هو مظهر للكتابة و «الشمس» و «القمر» و «النجم» و «النهار» و «الليل» و «السماء» و «الأرض» و «الزمان» و «الجمال» و «البحار» ، وإليك بعض هذه الآيات :

أ - (لَعْمُرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)⁽¹⁹²⁾ .

ب - (وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا (1) وَ الْقَمَرِ إِذَا تَلَاها (2) وَ النَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَ السَّمَاءِ وَ مَا بَنَاهَا (5) وَ الْأَرْضِ وَ مَا طَحَاهَا (6) وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا (7) فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا)⁽¹⁹³⁾ .

ج - (وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى)⁽¹⁹⁴⁾ .

د - (ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ)⁽¹⁹⁵⁾ .

هـ - (وَ الْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)⁽¹⁹⁶⁾ .

و - (وَ الْفَجْرِ (1) وَ لَيَالٍ عَشْرٍ)⁽¹⁹⁷⁾ .

ز - (وَ الطُّورِ (1) وَ كِتَابِ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5) وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)⁽¹⁹⁸⁾ .

كما نراه سبحانه أقسم بمخلوقات مختلفة في السور التالية : «النازعات» و «المرسلات» و «البروج» و «الطارق» و «البلد» و «التين» و «الضحى» .

(192) الحجر : 72 .

(193) الشمس : 1 — 8 .

(194) النجم : 1 .

(195) القلم : 1 .

(196) العصر : 1 و 2 .

(197) الفجر : 1 و 2 .

(198) الطور : 1 — 6 .

فلا شك ولا ريب أن القسم بغير الله لو كان شركاً بالله سبحانه لما بادر القرآن الكريم — الذي هو رمز التوحيد الخالد — للقسم بشيء من المذكورات ، وإذا كان القسم من خصائص الباري سبحانه لبيته الآيات الكريمة لئلا يقع الناس في الاشتباه .

2- يرى جميع المسلمين أن النبي أسوة لهم ، ويرون سيرته في حياته ميزاناً قوياً لتقييم الأعمال صحيحها من فاسدها . مع أننا نجد علماء المسلمين ومحدثيهم ورووا في صحاحهم ومسانيدهم موارد كثيرة أقسم النبي (صلى الله عليه وآله) بغير الباري سبحانه وتعالى .

فروى أحمد بن حنبل — رئيس المذهب الحنبلي — في مسنده :

«إن بشيراً سأل النبي (صلى الله عليه وآله) أصوم يوم الجمعة ولا أكلم ذلك اليوم أحداً فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لا تصم يوم الجمعة إلا في أيام هو أحدها أو في شهر وأما أن لا تكلم أحداً فلعمري لأن تكلم بمعروف وتنهى عن منكر خير من أن تسكت»⁽¹⁹⁹⁾ .

وروى مسلم في صحيحه :

«جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً فقال : أما وأبيك لتنبأته أن تصدق وأنت صحيح صحيح ، تخشى الفقر وتأمل البقاء . . .»⁽²⁰⁰⁾ .

فالذين يتهمون جمعاً كثيراً من المسلمين بالشرك بسبب اعتقادهم جواز القسم بغير الله كيف يوجهون أمثال هذه الروايات ؟ !

3- نحن نجد أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمقربين إليه — مضافاً إلى ما نجده في كتاب الله وسيرة رسوله — كانوا يخلفون بغير الله سبحانه ، فهذا وصيه وصهره علي بن أبي طالب (عليه السلام) يُقسم في مواطن كثيرة بنفسه الشريفة وذلك في قوله :

«ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافاً»⁽²⁰¹⁾ .

وقوله :

«ولعمري لنن لم تنزع عن غيِّك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك»⁽²⁰²⁾ .

ومن الواضح أنه لا مجال للاجتهاد والاستحسان مع كثرة النصوص الواردة ، ولا يوجد دليل يمكن أن يخطئ الكتاب العزيز وسيرة نبينا الكريم وأصحابه المقربين كأمر المؤمنين ويسقطها عن الحجية ويتهمها بالشرك .

النتيجة :

(199) مسند احمد: ج 5، ص 225. المعجم الكبير للطبراني: ج 2، ص 44 . السنن الكبرى للبيهقي: ج 10، ص 76

(200) صحيح مسلم ، ج 3 ، ص 93 . صحيح البخاري ، ج 2 ، ص 115 .

(201) فتح البلاغة ، الخطبة 166 .

(202) فتح البلاغة ، الكتاب 9 .

وللاطلاع على نماذج ومصاديق أخرى راجع الخطب : 168 و 182 و 187 والكب : 6 و 54 .

يتبين من الأدلة المذكورة بوضوح أن القسم بغير الله سبحانه جائز شرعاً في نظر الكتاب العزيز وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرة المؤمنين ، بل هو من الأصول المسلمة عندهم ، وأنه لا ينافي التوحيد أصلاً .

وعلى هذا الأساس إذا ورد في شيء من الروايات ما ينافي بظاهره جواز القسم بغير الله فلا بد من الإعراض عن ظاهره وتوجيهه وتأويله بما يوافق صريح الكتاب والسنة الثابتة .

وإليك فيما يلي نصّ رواية مبهمة ، والجواب عنها :

روى البخاري عن ابن عمر :

«أنه ادرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه ، فناداهم رسول الله (صلى الله عليه

وآله) : ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله ، وإلاّ

فليصمت»⁽²⁰³⁾ .

فهذه الرواية لا يمكنها أن تقوم مقابل الكتاب العزيز والسنة الشريفة ، ومع ذلك فإن وجه الجمع بينها وبين الأدلة المذكورة سابقاً هو أن آباء عمر لم يكونوا موحدّين ، بل كانوا من عبدة الأوثان ، وعابد الوثن لا يستحقّ أن يقسم به ، فنهى الرواية عن القسم بالآباء لعدم أهليّتهم لذلك .

(203) صحيح البخاري ، ج 7 ، ص 98 . صحيح مسلم ، ج 5 ، ص 81 . سنن أبي داود ، ج 2 ، ص 91 . السنن الكبرى ، ج 10 ، ص

هل التوسّل بأولياء الله شركٌ وبدعة؟

الجواب :

التوسّل : هو جعل شيء ذا قيمة وسيلةً بين العبد وبين ربّه لأجل الوصول إلى القرب الإلهي . يقول ابن منظور في لسان العرب في بيان معنى الكلمة :

«تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِكَذَا : تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِحُرْمَةٍ آصِرَةٍ تُعْطَفُهُ عَلَيْهِ»⁽²⁰⁴⁾ .

ويقول تعالى في محكم كتابه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁽²⁰⁵⁾ .

وعرّف الجوهري في كتابه «صحاح اللغة» الوسيلة بقوله :

«الْوَسِيلَةُ مَا يُنْقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْغَيْرِ» .

وعليه فقد يكون ما نتوسّل به ونجعله وسيلةً بيننا وبينه جلّ وعلا عملاً ذا قيمة وعبادةً خالصةً لله سبحانه والتي تعدّ وسيلةً قويةً تقربنا إلى الله عزّوجلّ ، وقد يكون ما نتوسّل به إنساناً وجيهاً عند الباري وذا مقام جليل وله منزلة عند الحقّ تعالى .

أقسام التوسّل

يمكن تقسيم التوسّل إلى ثلاثة أقسام هي :

1- التوسّل إلى الله بالأعمال الصالحة ، فروى السيوطي في ذيل الآية الشريفة : (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) الرواية التالية عن قتادة :

«تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا يَرْضِيهِ»⁽²⁰⁶⁾ .

2- التوسّل إلى الله بدعاء عباده الصالحين ، كما قال تعالى حكاية لقول إخوة النبي يوسف(عليه

السلام) حيث قال :

(قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ 97-99 قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)⁽²⁰⁷⁾ .

(204) لسان العرب : ج 11 ، ص 724 .

(205) المائدة : 35 .

(206) الدر المنثور ، ج 2 ، ص 280 .

(207) يوسف : 97 و 98 .

فالأية الكريمة صريحة وواضحة في أن أولاد النبي يعقوب توسّلوا بدعاء واستغفار أبيهم ، واعتقدوا أنه سبب للعفو عنهم وغفران ذنوبهم ، مع أن نبي الله يعقوب (عليه السلام) لم يعترض عليهم في ذلك ، بل إنّه وعدهم بالاستغفار ، واستغفر لهم فعلاً .

3- التوسّل بالشخصيات الوجيّهة عند الله والتي لها مقام سام ومنزلة رفيعة عند الله سبحانه وتعالى للحصول والوصول إلى القرب الإلهي . وهذا النوع من التوسّل كان موجوداً في صدر الإسلام ، وعليه سيرة الصحابة وامضائهم .

وإليك فيما يلي أدلة المسألة على ضوء الأحاديث وسيرة صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) وأجلاء المسلمين :

1- روى أحمد بن حنبل في مسنده عن عثمان بن حنيف :

«أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : ادع الله أن يعافيني . قال : إن شئت دعوت لك ، وإن شئت أخرت ذاك فهو خير . فقال : ادعه ، فأمره أن يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، فيصلّي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي⁽²⁰⁸⁾ لي ، اللهم شفّعه فيّ»⁽²⁰⁹⁾ .

وقد اتفق المحدثون على هذه الرواية حتى أن الحاكم النيسابوري قال في مستدركه على الصحيحين بعد نقل الحديث بسندين :

«هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه ، وإنما قدّمت حديث عون بن عمارة لأنّ من رسمنا أن نقدّم العالي من الأسانيد»⁽²¹⁰⁾ .
وقال ابن ماجه بعد ذكر الحديث :

«قال أبو إسحاق : هذا حديث صحيح»⁽²¹¹⁾ .

كما أيد الترمذي صحة الحديث بعد نقله⁽²¹²⁾ .

وقال محمد نسيب الرفاعي في كتابه «التوصّل إلى حقيقة التوسّل»:

«لا شك أنّ هذا الحديث صحيح ومشهور ، وقد ثبت فيه بلا شك ولا ريب ارتداد بصر الأعمى بدعاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) له»⁽²¹³⁾ .

(208) في المصدر : «فتقضى» والصحيح ما أثبتناه طبقاً لما في سنن ابن ماجه .

(209) مسند أحمد بن حنبل ، ج 4 ، ص 138 . سنن ابن ماجه ، ج 1 ، ص 441 .

(210) المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ، ج 1 ، ص 526 و 527 وفي ذيل أولهما تنمّة هي : «فدعا بهذا الدعاء ، فقام وقد أبصر» وفي ذيل الثاني : «قال عثمان : فوالله ما تفرّقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأته لم يكن به ضرّ قط» .

(211) سنن ابن ماجه ، ج 1 ، ص 442 .

(212) انظر : ج 5 ، ص 229 .

(213) التوصل إلى حقيقة التوسّل : ص 158 (طبع بيروت) .

فيظهر من هذه الرواية بوضوح أنّ التوسّل بالنبي (صلى الله عليه وآله) لأجل نيل الحوائج جائز شرعاً ، بل إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر الأعمى بالدعاء بهذه الكيفية ، وبأن يجعل النبي شافعياً بينه وبين الباري تعالى ، وهذا هو معنى التوسّل بأولياء الله والمقربين لديه .

2- روى البخاري في صحيحه عن أنس :

«أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسّل إليك بنبينا (صلى الله عليه وآله) فتسقينا ، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبينا فاسقنا . قال : فيسقون»⁽²¹⁴⁾ .

2- كان التوسّل بأولياء الله أمراً رائجاً ومتعارفاً إلى حدّ كبير بحيث أنّ المسلمين في صدر الإسلام ضمنوا أشعارهم التوسّل بالنبي (صلى الله عليه وآله) بل عرفوه فيها بكونه الوساطة بين الخلق وبين الباري سبحانه .

فأنشد سواد بن قارب النبي قصيدة جاء في بعض أبياتها :

وأشهد أنّ الله لا ربّ غيره وأنت مأمون على كلّ غائب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يابن الأكرمين الأطائب⁽²¹⁵⁾
فعندما سمعه النبي (صلى الله عليه وآله) لم يستنكر عليه ما قاله ولم يتّهمه بالشرك .
كما أشار الشافعي إلى هذا الأمر في أبيات له هي :

أل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي⁽²¹⁶⁾

والروايات الواردة في جواز التوسّل بأولياء الله كثيرة ، لكن على ضوء ما ذكرناه منها يتضح جوازه ، بل حسنه ومطلوبيّته في منظار السنّة الشريفة وسيرة الصحابة وكبار علماء المسلمين ، فلا نجد حاجة لإطالة الكلام فيه أكثر .

وبهذا البيان اتّضح وهن قول من يدعي أنّ التوسّل بأولياء الله وأحبّائه شرك وبدعة .

(214) صحيح البخاري ، ج 2 ، ص 16 .

(215) المعجم الكبير للطبراني ، ج 7 ، ص 94 . المستدرک على الصحيحين ، ج 3 ، ص 610 .

(216) الصواعق المحرقة ، ص 178 . ينابيع المودة لدوي القربى للقندوزي ، ج 2 ، ص 468 .

هل إحياء ذكرى ولادة أولياء الله شركٌ وبدعة؟

الجواب :

إحياء ذكرى أولياء الله المخلصين وعباده المقربين نظير إقامة حفلات البهجة والسرور بمناسبة ذكريات ولادتهم ، وإن كانت مسألة واضحة عند العلماء والحكماء ، لكننا نذكر فيما يلي أدلة جوازها ؛ رفعاً للشبهة عن الأذهان .

1- إبراز المحبة لهم

حثّ القرآن الكريم المسلمين على حبّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) بقوله عزّ من قائل :

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (217) .

ولا شكّ ولا ريب أنّ إحياء ذكريات أهل البيت (عليهم السلام) مظهر من مظاهر إبراز المحبة لهم، وهذا الأمر مرضيٌّ ومقبول في النظرة القرآنيّة.

2- تعظيم رسول الله (صلى الله عليه وآله)

عدّ القرآن الكريم نصره النبيّ (صلى الله عليه وآله) وتعظيمه ميزاناً ومعياراً للسعادة والفوز، وذلك في قوله تعالى :

(فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (218) .

فيستفاد من الآية المذكورة بوضوح أنّ تعظيم النبيّ (صلى الله عليه وآله) أمر مطلوب وحسن في النظرة الإسلاميّة ، وإقامة الاحتفالات التي تحيي ذكر النبيّ في القلوب وتعظّمه مما يرضي الربّ تبارك وتعالى ، فإن الآية ذكرت أربع صفات للفائزين هي :

أ- الإيمان به ، في قوله : (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ) .

ب- اتباع النور الذي معه ، في قوله : (وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ) .

ج- نصرته ، في قوله : (وَ نَصَرُوهُ) .

د- تعظيمه وتبجيله ، في قوله : (وَ عَزَّرُوهُ) .

وعليه فاحترام النبيّ وتعظيمه وتبجيله — مضافاً إلى الإيمان به ونصرته واتباعه — أمر ضروري ، والاحتفال بذكرى النبيّ (صلى الله عليه وآله) امتثال لقوله تعالى : (وَ عَزَّرُوهُ) .

3- إحياء ذكرى النبيّ اتّباع وتأسّ بالله تعالى

(217) الشورى : 23 .

(218) الأعراف : 157 .

قال تعالى في محكم كتابه الكريم معظماً للنبي (صلى الله عليه وآله) :
(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) (219).

فعلى ضوء هذه الآية يريد سبحانه وتعالى أن يرفع ويُعظم ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) في أرجاء العالم ، بل إن الله سبحانه يعظم نبيه خلال آيات عديدة من القرآن الكريم .
فنحن تبعاً للكتاب العزيز نعظم نبينا ونبجله من خلال الاحتفالات والمناسبات المختلفة ، والتي نبين فيها فضله ، ومقامه السامي ، وبهذا نتأسى ونتبع ما جاء عن ربنا تبارك وتعالى .
ومن الواضح أن هدف المسلمين من إحياء ذكرى النبي (صلى الله عليه وآله) في الاحتفالات والمناسبات المختلفة ليس إلا رفع ذكره وإعلاء شأنه (صلى الله عليه وآله) .

4- نزول الوحي ليس بأقل من نزول المائدة من السماء

قال تعالى في محكم كتابه حكاية عن لسان نبيه عيسى (عليه السلام) :

(قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (220) .

فطلب عيسى (عليه السلام) من الله سبحانه أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، وأمر عيسى قومه أن يتخذوا يوم نزولها يوم عيد .

والآن نطرح السؤال التالي : إذا كان نبي مكرم يتخذ يوم نزول المائدة — والتي فيها لذة النفس — يوم عيد ، فإذا اتخذ المسلمون يوم ولادة النبي (صلى الله عليه وآله) — وهو منجى البشرية أجمع وسبب حياتهم الحقيقية — أو يوم مبعثه يوم عيد ، فهل هو شرك وبدعة ؟ !

5- سيرة المسلمين

يقيم المسلمون منذ قدم الأيام احتفالات بمناسبة ولادة النبي (صلى الله عليه وآله) لأجل إحياء ذكراه وتعظيمه .

يقول حسين بن محمد الديار بكري في كتابه «تاريخ الخميس» :

«لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده، ويعملون الولائم، ويتصدقون في ليليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الشريف، ويظهر عليهم من كراماته كل فضل عظيم» (221) .

وبهذا البيان اتضح جواز وحسن إقامة الاحتفالات لإحياء ذكرى أولياء الله من خلال القرآن الكريم وسيرة المسلمين من القديم . وبه يتضح وهن من يزعم أن الاحتفال بذكرى أولياء الله بدعة ; فإن

(219) الشرح : 4 .

(220) المائدة : 114 .

(221) تاريخ الخميس ، ج 1 ص 223 (طبع بيروت) .

البدعة ما حكم بجوازه مطلقاً أو في ظرف معين مع عدم وجود دليل على جوازه من الكتاب والسنة ،
مع أنّ حكم المسألة مستفاد من الكتاب ومن سيرة المسلمين المستمرة من القديم إلى يومنا هذا .
مع أنّ إقامة هذه الاحتفالات والشعائر إنّما هو لإبراز الاحترام لأولياء الله ، مع الاعتقاد بأنهم عبيد
محتاجون لله .

وعلى هذا فما يفعله الشيعة من الاحتفالات وإحياء ذكرى أولياء الله لا ينافي التوحيد بل هو
منسجم معه تماماً .

وبه يتّضح بطلان ووهن زعم من يزعم أنّ الاحتفال بذكرى أولياء الله بدعة وشرك .

لماذا يصلي الشيعة الصلوات الخمس في ثلاثة أوقات ؟

الجواب :

قبل الدخول في البحث لا بأس بذكر آراء الفقهاء في المسألة ، فنقول :

1- اتفق الفقهاء من جميع الفرق الإسلامية على جواز أداء صلاتي الظهر والعصر في وقت واحد ومن دون فاصل في عرفات ، كما اتفقوا على جواز الجمع بين العشاءين في المزدلفة والايان بهما في وقت العشاء .

2- يقول أتباع المذهب الحنفي أن الجمع بين الظهرين والعشاءين مخصوص بالموردين المذكورين ولا يجوز في غيرهما .

3- يقول أتباع المذهب المالكي والشافعي بجواز الجمع بين الظهرين والعشاءين في السفر فضلاً عن الموردين المذكورين . كما يقول بعضهم بجواز الجمع في حالات الاضطرار ؛ كالمرض والخوف من العدو ونزول المطر . (222)

4- يقول الشيعة أن لكل من الصلوات المذكورة وقتاً خاصاً ووقتاً مشتركاً:

أ - يبدأ الوقت المختصّ بالظهر من الزوال إلى مضي زمان يكفي لأداء صلاة الظهر ، ففي هذا الوقت لا يجوز الاتيان إلاّ بصلاة الظهر .

ب - يبدأ الوقت المختصّ بصلاة العصر قبل آخر الوقت بمقدار يكفي لأداء صلاة العصر ، ففي هذا الوقت لا يجوز الاتيان إلاّ بصلاة العصر .

ج - الوقت المشترك بين صلاتي الظهر والعصر هو الزمان الواقع بين الوقت المختصّ بصلاة الظهر والوقت المختصّ بصلاة العصر .

فالذي تقول به الشيعة هو جواز الاتيان بصلاتي الظهر والعصر في الوقت المشترك من دون فاصل بينهما ، ويقول أهل السنة أن الوقت المختصّ بالظهر هو من حين الزوال إلى أن يصير ظلّ كلّ شيء بحجمه ومقداره ، فلا يجوز الاتيان بصلاة العصر فيه . وما بعده إلى الغروب هو الزمان المختصّ بصلاة العصر ، ولا يجوز الاتيان بصلاة الظهر فيه .

د - يبدأ الوقت المختصّ بصلاة المغرب من حين الغروب الشرعي إلى مضي زمان يكفي لأداء ثلاث ركعات ، فلا يجوز في هذا الوقت الاتيان إلاّ بصلاة المغرب .

هـ - يبدأ الوقت المختصّ بصلاة العشاء قبل منتصف الليل (آخر وقت العشاء) بمقدار يكفي لأداء الصلاة ، ففي هذا الوقت لا يجوز الاتيان إلاّ بصلاة العشاء .

(222) اقتباس من كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» ، كتاب الصلاة ، الجمع بين الصلاتين تقدماً وتأخيراً .

و- الوقت المشترك بين صلاتي المغرب والعشاء هو الزمان الواقع بين الوقتين المختصين بهما .
والذي تقول به الشيعة هو جواز الاتيان بصلاتي المغرب والعشاء في الوقت المشترك من دون
فاصل بينهما ، ويقول أهل السنة أنّ الوقت المختصّ بالمغرب هو من حين الغروب إلى أن
يزول الشفق الأحمر من جهة المغرب ، فلا يجوز الاتيان بصلاة العشاء فيه . وما بعده إلى
منتصف الليل زمان مختصّ بصلاة العشاء ، ولا يجوز الاتيان بصلاة المغرب فيه .

زبدة المخاض : بناء على ما يتبناه الشيعة يمكن الاتيان بصلاة الظهر عند حصول الزوال الشرعي
(وقت صلاة الظهر) ، ويمكن الاتيان بعدها مباشرة بصلاة العصر . كما يمكن الاتيان بصلاة الظهر قبل
دخول الوقت المختصّ بصلاة العصر بشرط أن يكون قبلها بزمان كاف لأداء الظهر ، ثمّ الاتيان بعدها
مباشرة بصلاة العصر ، وبهذا الشكل يتم الجمع بين صلاتي الظهر والعصر .
نعم من المستحبّ الاتيان بصلاة الظهر عند أول الزوال ، والاتيان بصلاة العصر بعد مضيّ فترة من
الزوال بحيث يصير ظلّ كلّ شيء بحجمه .

وكذا الكلام في صلاتي المغرب والعشاء ؛ حيث يمكن الاتيان بصلاة المغرب عند الغروب الشرعي
للشمس (وقت صلاة المغرب) ، ويمكن الاتيان بعدها مباشرة بصلاة العشاء . كما يمكن الاتيان بصلاة
المغرب قبل دخول الوقت المختصّ بصلاة العشاء بشرط أن يكون قبلها بزمان يكفي لأداء المغرب ، ثمّ
الاتيان بعدها مباشرة بصلاة العشاء ، وبهذا الشكل يتم الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء . وإن كان
المستحبّ هو الاتيان بصلاة المغرب في أول وقتها (عند الغروب الشرعي) ، والاتيان بصلاة العشاء عند
ذهاب وزوال الحمرة من جهة المغرب .

وأما أهل السنة فيقولون : لا يجوز الجمع بين الظهرين والعشاءين — بالنحو الذي ذكرناه — في
جميع الأماكن والأوقات .

وعلى هذا فنقطة الخلاف ومحلّ البحث هو الجمع بين الصلاتين مطلقاً (في جميع الأحوال والأوقات
والأماكن) بحيث تؤدّى كلا الصلاتين في وقت إحداهما ، نظير الجمع بينهما في عرفات والمزدلفة .

5- اتفق جميع المسلمين على أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) جمع بين صلاتيه ، ولكن وقع الخلاف في
تفسير الرواية على قولين :

أ- يقول الشيعة إنّ المراد منها هو أنّ الجمع بين الصلاتين جائز في جميع الأحوال والأوقات ،
ولا يختصّ بزمان دون آخر ، ولا بحال دون حال ، بل يمكن الاتيان بصلاة العصر في أول
الوقت وبعد أداء الظهر ، والاتيان بصلاة العشاء في أول الوقت وبعد أداء صلاة المغرب .

ب - يقول أهل السنة إنّ المراد من الجمع فيها هو الاتيان بصلاة الظهر في آخر الوقت ،
وبالعصر في أول الوقت ، والاتيان بصلاة المغرب في آخر الوقت ، وبالعشاء في أول
الوقت ، وبه يحصل الجمع بين الصلاتين .

ولإيضاح المسألة بنحو تامّ نتعرّض للروايات الواردة في المسألة ونبيّن دلالتها ; ليّتضح الحال ، وبه يتبين أنّ المقصود منها هو ما ذكره الشيعة من جواز الجمع بين الصلاتين في جميع الأحوال ، لا ما ذكره أهل السنّة من أنّ المراد هو الاتيان بالظهر آخر الوقت والعصر في أوله ، أو المغرب في آخر الوقت والعشاء في أوله . والروايات هي :

1- روى زعيم المذهب الحنبلي أحمد بن حنبل في مسنده عن عمرو قال : «أخبرني جابر بن زيد أنه سمع ابن عباس يقول : صليت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثمانياً جميعاً ، وسبعاً جميعاً . قال : قلت له : يا أبا الشعثاء أظنه آخر الظهر وعجّل العصر ، وآخر المغرب وعجّل العشاء ! قال : وأنا أظنّ ذلك»⁽²²³⁾ .

فهذه الرواية تدلّ بوضوح على أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) كان يجمع بين الظهرين ، والمعبر عنه في الرواية بـ «ثمان» ، وبين العشاءين ، والمعبر عنه في الرواية بـ «سبع» ، فكان يصلّيها من دون فاصل بينها .

2- كما روى أحمد بن حنبل في مسنده أيضاً عن عبد الله بن شقيق قال :

«خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم وعلق الناس ينادونه الصلاة ، وفي القوم رجل من بني تميم فجعل يقول : الصلاة ، الصلاة ، قال : فغضب ، قال : أتعلّمني بالسنّة ! شهدت رسول الله(صلى الله عليه وآله) جمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء . قال عبد الله : فوجدت في نفسي من ذلك شيئاً ، فلقيت أبا هريرة ، فسألته فوافقته»⁽²²⁴⁾ .

ففي هذه الرواية أذعن بهذه الحقيقة اثنان من الصحابة هما : «ابن عباس» و «أبو هريرة» ، وقالوا إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان يجمع بين صلاتي الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، وقد تأسّى ابن عباس بسيرة النبي(صلى الله عليه وآله) .

3- روى زعيم المذهب المالكي الإمام مالك بن أنس في الموطأ عن عبد الله بن عباس ، أنه قال : «صلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً ، في غير خوف ولا سفر»⁽²²⁵⁾ .

4- وروى مالك أيضاً عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، أن معاذ بن جبل أخبره :

«أنّهم خرجوا مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) عام تبوك ، فكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يجمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء»⁽²²⁶⁾ .

5- وروى مالك أيضاً عن نافع ، أن عبد الله بن عمر ، قال :

(223) مسند أحمد بن حنبل ، ج 1 ، ص 221 .

(224) مسند أحمد بن حنبل ، ج 1 ، ص 251 .

(225) كتاب الموطأ ، ج 1 ، ص 144 ، ح 4 .

«كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) إذا عجل به السير ، يجمع بين المغرب والعشاء» .⁽²²⁷⁾

6- كما روى أيضاً عن أبي هريرة :

«أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان يجمع بين الظهر والعصر ، في سفره إلى تبوك» .⁽²²⁸⁾

7- وروى أيضاً عن نافع :

«أن عبد الله بن عمر كان إذا جمع الأمراء بين المغرب والعشاء في المطر ، جمع معهم» .⁽²²⁹⁾

8- كما كتب مالك نقلاً عن علي بن الحسين أنه كان يقول :

«كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، إذا أراد أن يسير يومه جمع بين الظهر والعصر ، وإذا أراد أن يسير ليله جمع المغرب والعشاء» .⁽²³⁰⁾

9- وروى الزرقاني في شرحه على الموطأ عن أبي الشعثاء :

«ان ابن عباس صلى في البصرة الظهر والعصر ليس بينهما شيء ، والمغرب والعشاء ليس بينهما شيء»⁽²³¹⁾

10- وروى الزرقاني في شرحه على الموطأ أيضاً نقلاً عن الطبراني عن ابن مسعود :

«جمع النبي(صلى الله عليه وآله) بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ، فقليل له في ذلك ، فقال : صنعت هذا لئلا تخرج أمتي»⁽²³²⁾ .

11- وروى مسلم في صحيحه عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

«صلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) الظهر والعصر جميعاً بالمدينة في غير خوف ولا سفر»⁽²³³⁾ .

قال أبو الزبير : فسألت سعيداً لم فعل ذلك ؟ فقال : سألت ابن عباس كما سألتني فقال : أراد أن لا يخرج احداً من أُمَّته .⁽²³⁴⁾

12- وروى مسلم في صحيحه أيضاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

«جمع رسول الله(صلى الله عليه وآله) بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر» .⁽²³⁵⁾

(226) كتاب الموطأ ، ج 1 ، ص 143 ، ح 2 .

(227) كتاب الموطأ ، ج 1 ، ص 144 ، ح 3 .

(228) كتاب الموطأ ، ج 1 ، ص 143 ، ح 1 .

(229) كتاب الموطأ ، ج 1 ، ص 145 ، ح 5 .

(230) كتاب الموطأ ، ج 1 ، ص 145 .

(231) شرح الزرقاني على الموطأ : ج 1 ، ص 294 ، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر .

(232) المصدر السابق : ص 294 .

(233) صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 151 .

(234) المصدر السابق ، ذيل الحديث .

قال [سعيد بن جبير]: قلت لابن عباس : لم فعل ذلك ؟ قال : كي لا يخرج أمته . (236)

13- عقد البخاري باباً تحت عنوان «باب تأخير الظهر إلى العصر»⁽²³⁷⁾ ، وهذا العنوان خير دليل على جواز تأخير الظهر إلى وقت العصر ، والاتيان بها وبصلاة العصر في وقت واحد ، وروى في هذا الباب الرواية التالية عن جابر بن زيد عن ابن عباس :

«ان النبي (صلى الله عليه وآله) صَلَّى بالمدينة سبعاً وثمانياً الظهر والعصر والمغرب والعشاء»⁽²³⁸⁾ .

فهذه الرواية تدلّ بوضوح على أنّه يجوز تأخير الظهر إلى وقت العصر والاتيان بهما معاً ، بل سياق الرواية يدلّ على أنّه يجوز تأخير المغرب إلى وقت العشاء ؛ تبعاً لفعل النبي (صلى الله عليه وآله) .

14- ولهذا قال البخاري في موضع آخر :

«وقال ابن عمر وابو ايوب وابن عباس : صَلَّى النبي (صلى الله عليه وآله) المغرب والعشاء»⁽²³⁹⁾ .

15- وروى مسلم في صحيحه :

«قال رجل لابن عباس : الصلاة . فسكت ، ثم قال : الصلاة . فسكت . ثم قال : الصلاة . فسكت . ثم قال : لا أم لك ، أتعلّمنا بالصلاة وكنا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)!»⁽²⁴⁰⁾

16- وروى مسلم في صحيحه أيضاً عن ابن عباس :

«ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمع بين الصلاة في سفرة سافرهما في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء . قال سعيد : فقلت لابن عباس : ما حمله على ذلك ؟ قال : أراد أن لا يخرج أمته»⁽²⁴¹⁾ .

17- كما روى أيضاً عن أبي الطفيل عامر عن معاذ قال :

«خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غزوة تبوك ، فكان يصلي الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً»⁽²⁴²⁾ .

18- وروى مالك في الموطأ عن ابن شهاب :

(235) صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 152 .

(236) المصدر السابق ، ذيل الحديث .

(237) انظر صحيح البخاري ج 1 ، ص 110 ، كتاب الصلاة .

(238) صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 137 .

(239) صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 141 .

(240) صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 153 .

(241) صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 151 .

(242) صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 152 .

«أنه سأل سالم بن عبد الله : هل يجمع بين الظهر والعصر في السفر؟ فقال: نعم ، لا بأس بذلك ، ألم تر إلى صلاة الناس بعرفة؟»⁽²⁴³⁾ .

ومما ينبغي ذكره أن المسلمين جميعاً يرون جواز الجمع بين الظهرين في عرفات والأيام بهما في وقت الظهر من دون فصل بينهما ، وهنا يقول : سالم بن عبد الله : كما يجمع بين الظهر والعصر في عرفة يجمع بينهما في غير عرفة أيضاً .

19- وروى المتقي الهندي في كنز العمال عن عمرو بن شعيب قال :

قال عبد الله : جمع لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) مقيماً غير مسافر بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، فقال رجل لابن عمر : لم ترى النبي (صلى الله عليه وآله) فعل ذلك ؟ قال : لأن لا يخرج أمته إن جمع رجل .⁽²⁴⁴⁾

20- وروى المتقي الهندي في كنز العمال عن جابر :

«أن النبي (صلى الله عليه وآله) جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين»⁽²⁴⁵⁾ .

21- وروى المتقي الهندي في كنز العمال عن جابر أيضاً :

«أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) غربت له الشمس بمكة فجمع بينهما بسرف»⁽²⁴⁶⁾ .

22- في كنز العمال عن صالح مولى التؤمة أنه سمع ابن عباس يقول :

«جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء بالمدينة في غير سفر ولا مطر . قال : قلت لابن عباس : لم تراه فعل ذلك ؟ قال : أراد التوسعة على أمته»⁽²⁴⁷⁾

النتيجة :

ولنبين على ضوء الروايات المذكورة وجه الجمع بينها بأدلة واضحة والذي سيسفر عن صحة ما قاله الشيعة في المسألة :

1- الجمع بين الصلاتين للتسهيل على الأمة والحيلولة دون وقوعها في الحرج :

دلت مجموعة من الروايات المذكورة على هذه الحقيقة وأنه إذا لم يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء فإنه يوجب الوقوع في الحرج والأذى ، ولهذا فإن النبي (صلى الله عليه وآله) أحاز الجمع بين الصلاتين في وقت واحد لأجل التوسعة على المسلمين والتسهيل عليهم في أعمالهم ، ويدل على ما ذكرناه الأحاديث (10 و 16 و 19 و 22) من الأحاديث السالفة .

(243) كتاب الموطأ ، ج 1 ، ص 145 .

(244) كنز العمال ، ج 8 ، ص 246 ، ح 22764 .

(245) كنز العمال ، ج 8 ، ص 247 ، ح 22771 .

(246) كنز العمال ، ج 8 ، ص 247 ، ح 22769 .

(247) كنز العمال ، ج 8 ، ص 248 ، ح 22777 .

ومن الواضح أنه إذا كان المقصود من الروايات المذكورة هو أنه يمكن تأخير الظهر إلى فترة بحيث يصير ظل كل شيء مثله — والذي هو أول وقت العصر عند أهل السنة — والأتیان بصلاة العصر في أول وقتها بحيث يجمع بين الصلاتين من جانب ، وتؤدي كل صلاة في وقتها ، فهذا ليس من عدم التسهيل فحسب ، بل فيه نوع مشقة أكثر كما هو واضح ، مع أن الهدف الرئيسي من الجمع في الروايات المذكورة هو التسهيل على الأمة .

وبهذا البيان اتضح أن المقصود من الروايات الماضية هو إمكان الاتيان بالصلتين والجمع بينهما في سائر الوقت المشترك بينهما نظير أول الوقت وآخره ، وليس المقصود هو أن يؤتى بالأولى في آخر وقتها وبالثانية في أول وقتها .

2- الجمع بين الصلاتين يوم عرفة لبيان كيفية الجمع :

اتفق جمع المسلمين على جواز الجمع بين صلاتي الظهر والعصر يوم عرفة⁽²⁴⁸⁾ . ومن جانب آخر دلت بعض الروايات — التي تقدم ذكرها — على جواز ذلك أيضاً ، وأن الجمع بين الصلاتين في غير عرفة نظير الجمع بينهما يوم عرفة ، فمن هذه الجهة لا فرق بين يوم عرفة وغيره ولا بين أرض عرفات وغيرها ، انظر في ذلك الحديث الثامن عشر .

وعليه فيمكن الجمع بين صلاتي الظهر والعصر في وقت الظهر من غير عرفة نظير الجمع بينهما في يوم عرفة المتفق عليه بين المسلمين .

3- طريقة الجمع بين الصلاتين تبين كيفية الجمع :

نجد أن فقهاء الحنابلة والمالكية والشافعية يفتون بجواز الجمع بين الصلاتين في السفر ، وفي قبال ذلك نجد أن الروايات الشريفة تدلّ بصراحة على عدم الفرق بين السفر والحضر في جواز الجمع بين الصلاتين ، وأن النبي (صلى الله عليه وآله) جمع بين الصلاتين في السفر وفي الحضر ، راجع في ذلك الروايات (3 و 11 و 19 و 22) .

وعلى هذا الأساس فكما يجوز الجمع بين الصلاتين في السفر يجوز في الحضر أيضاً ، وفقاً لما ذكره الشيعة .

4- كيفية الجمع بين الصلاتين في حال الاضطرار تبين كيفية الجمع في حال الاختيار :

دلت الروايات الصحيحة الكثيرة على أن النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه كانوا يجمعون بين الصلاتين — بالنحو الذي يقول به الشيعة — في المواطن المختلفة ؛ نظير حال المرض وعند نزول المطر وعند خوف العدو ، ولهذا أفق الكثير من الفقهاء بجواز الجمع بين الصلاتين في حالات الاضطرار ، مع

(248) الفقه على المذاهب الأربعة ، كتاب الصلاة ، الجمع بين الصلاتين تقدماً وتأخيراً .

أن الروايات لم تميّز بين حال الاضطراب وغيرها ، بل إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) جمع بين صلاتيه في غير الحالات المذكورة أيضاً ، راجع في ذلك الروايات (3 و 11 و 23) .

5- سيرة الصحابة تبين كيفية الجمع :

نجد في الروايات المذكورة أنفاً أنّ كثيراً من الصحابة كانوا يجمعون بين الصلاتين في وقت واحد ، كما فعل ابن عباس حيث أحرّ صلاة المغرب حتى اظلمت السماء وتشابكت النجوم ، وكلما نادوه «الصلاة» ، «الصلاة» ، لم يعتن بما قالوا ، فلما مضى شطر من الليل صلّى المغرب والعشاء في وقت واحد ، فلما اعترضوا عليه ، أجابهم بقوله :

«أتعلمني بالسنة ! شهدت رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء» .

وأيد أبو هريرة كلام ابن عباس . راجع في ذلك الروايات (2 و 7 و 9 و 15) .

وعلى ضوء الروايات المذكورة لا يبقى شك أو تردد في أنّ ما فعله ابن عباس من الجمع بين الصلاتين في وقت إحداهما هو نفس ما عليه الشيعة .

6- سيرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) تبين كيفية الجمع :

يدلّ الحديث الحادي والعشرون على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان في مكّة فلم يصلّ المغرب بل أحرّها إلى «سرف» التي تبعد عن مكّة حوالي تسعة أميال فصلّى المغرب والعشاء في وقت واحد ، مع أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) إذا كان في مكّة عند الغروب وسار منها إلى سرف فبملاحظة وسائط النقل البطيئة آنذاك والمسافة التي تفصلها عن مكّة ، لا يمكن أن يصل إليها إلاّ بعد مضى شطر من الليل ، ولهذا فإن النبيّ (صلى الله عليه وآله) صلّى المغرب والعشاء في وقت العشاء .

فتبين من مجموع الروايات التي ذكرناها والتي نقلناها جميعاً من صحاح ومسانيد أهل السنة صحّة ما يقوله ويفتي به الشيعة من جواز الجمع بين صلاتي الظهر والعصر في وقت واحد ، وصلاتي المغرب والعشاء في وقت واحد .

كما اتّضح من الروايات المذكورة بضميمة ما ذكرناه من التوضيحات لها أنّ الجمع بين الصلاتين شامل لجميع الأماكن والأوقات والأحوال .

ما هي مصادر الفقه الشيعي ؟

الجواب :

تستنبط الشيعة أحكامها الشرعية — تبعاً لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) — مما يلي :

1- القرآن الكريم .

2- السنة الشريفة .

3- الإجماع .

4- العقل .

ويعدّ القرآن الكريم والسنة الشريفة أهمّ مصدرين للفقه الشيعي ، ولهذا سنتكلّم عنهما باختصار فيما

يلي :

القرآن الكريم

يعتبر أبناء مدرسة الفقه الشيعي كتاب الله العزيز أهمّ مصدر لأحكامهم الفقهيّة التي يستنبطونها ، والميزان الذي تعرف به أحكام الباري عزّوجلّ ، فإنّ أئمتهم وقادتهم قالوا : إنّ القرآن أرفع وأفضل مصدر لمعرفة أحكام الله عزّوجلّ ، ولهذا يجب عرض كلّ نظرية على القرآن فما وافقه قبل ، وما خالفه طُرح وتُرك .

يقول الإمام السادس للشيعة جعفر بن محمد (عليه السلام) في هذا المضمّن :

«كلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف» .⁽²⁴⁹⁾

وروى عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال :

«خطب النبيّ (صلى الله عليه وآله) بمنى فقال : أيّها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا

قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله» .⁽²⁵⁰⁾

فمن خلال هذين الحديثين الشريفين يتضح أنّ منزلة القرآن الكريم عند أئمتنا في مجال استنباط

الأحكام الشرعيّة هي أرفع منزلة .

السنة الشريفة

السنة — وهي أقوال وأفعال وإمضاءات النبيّ (صلى الله عليه وآله) — العين الثانية التي ينهل منها

الفقه الشيعي أحكامه الشرعيّة . والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) يروون لنا سنة جدّهم وخزانة

(249) الكافي ، ج 1 ، ص 69 ، ح 3 .

(250) الكافي ، ج 1 ، ص 69 ، ح 5 .

علموه (صلى الله عليه وآله) . نعم إن وصلت إلينا سنة النبي (صلى الله عليه وآله) بطريق معتبر غير طريق أهل البيت (عليهم السلام) فإنه يجب الأخذ به — عند الشيعة — أيضاً .

ومن اللائق أن نبحث الموضوع من جانبين :

أدلة التمسك بسنة النبي (صلى الله عليه وآله)

أوصى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أتباعهم وأشياعهم باتباع سنة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى جانب وصاياهم لهم بالقرآن ، وقد مدحوا القرآن والسنة إذا كانا متقارنين ، فمن ذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام) :

«إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإلا فالذي جاءكم به أولى به»⁽²⁵¹⁾ .

كما عدّ الإمام الباقر (عليه السلام) التمسك بالسنة شرطاً رئيسياً لفقاهة الفقيه الجامع للشرائط ، وذلك في قوله (عليه السلام) :

«إن الفقيه حقّ الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، المتمسك بسنة النبي (صلى الله عليه وآله) وإلا»⁽²⁵²⁾ .

بل إن أئمتنا (عليهم السلام) عدّوا مخالفة الكتاب والسنة كفراً بالله العظيم ، فهذا الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول :

«من خالف كتاب الله وسنة محمد (صلى الله عليه وآله) فقد كفر»⁽²⁵³⁾ .

فأتضح بهذا البيان المختصر أنّ الشيعة تحترم السنة النبوية الشريفة أكثر من غيرها من الفرق الإسلامية ، وبه يتضح وهن وبطلان دعوى من يقول : إنّ الشيعة أجنبيون بالمرّة عن سنة النبي (صلى الله عليه وآله) .

أدلة التمسك بأحاديث أهل البيت (عليهم السلام)

لأجل بيان عقيدة الشيعة بالنسبة لأحاديث أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) لا بدّ من البحث ضمن محورين ، هما :

أ - حقيقة أحاديث أئمتنا المعصومين (عليهم السلام) .

ب - أدلة لزوم التمسك بأهل البيت (عليهم السلام) .

حقيقة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)

(251) الكافي ، ج 1 ، ص 69 ، ح 2 .

(252) الكافي ، ج 1 ، ص 70 ، ح 8 .

(253) الكافي ، ج 1 ، ص 70 ، ح 6 .

لا ترى المدرسة الشيعية حقاً في التشريع والتقنين لأحد قط سوى الباري عزوجلّ ، سواء كان التشريع والتقنين في نطاق الفرد أو المجتمع ، وهذه القوانين والأحكام الشرعية تبين للناس بواسطة النبيّ (صلى الله عليه وآله) باعتباره الوسيلة الوحيدة للارتباط بالله من خلال الوحي .

وبهذا يتّضح أنّ اعتماد الشيعة على أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) باعتبارها موضحة ومفسّرة لسنة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، لا باعتبارها دليلاً في مقابل السنة النبوية .

وعليه فكلام أهل البيت (عليهم السلام) في الحقيقة هو ما ورد في السنة النبوية . ولأجل إثبات ذلك نذكر بعض الروايات الواردة في هذا المجال :

1- قال الإمام الصادق (عليه السلام) في جواب رجل سأله عن مسألة :

«مهما أحببتك فيه بشيء فهو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لسنا نقول برأينا من شيء»⁽²⁵⁴⁾ .

2- وقال الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً :

«حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدّي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وحديث رسول الله قول الله عزوجلّ»⁽²⁵⁵⁾

3- وقال الإمام الباقر لجابر حين قال له : إذا حدّثتني بحديث فأسنده لي ، فقال (عليه السلام) :

«حدّثني أبي ، عن جدّي ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل ، عن الله تبارك وتعالى ، وكلّما حدّثك بهذا الإسناد»⁽²⁵⁶⁾ .

فعلى ضوء هذه الأحاديث تتضح حقيقة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) وأنّها عين ما ورد في سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

أدلة لزوم التمسك بأهل البيت (عليهم السلام)

اتّفق المسلمون من كلا الفريقين على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) خلف بعده ثقلين عظيمين ، ودعا المسلمين إلى اتّباعهما ، وقال إنّ الهداية مقرونة بالتمسك بهما ، وهذان الثقلان هما : كتاب الله وعترته أهل بيته .

ونذكر فيما يلي بعض هذه الروايات من باب المثال :

1- روى الترمذي في صحيحه عن جابر بن عبد الله :

(254) بصائر الدرجات ، ص 320 .

(255) الكافي ، ج 1 ، ص 53 ، ح 14 .

(256) وسائل الشيعة ، ج 81 ، ص 69 ، ح 67 .

«رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يحطب فسمعتة يقول : يا أيها الناس إني تركت فيكم من [ما] إن أخذتم به لن تضلّوا ; كتاب الله وعترتي أهل بيتي»⁽²⁵⁷⁾ .

2- وروى الترمذي في صحيحه أيضاً عن زيد بن أرقم قال :

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ; كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»⁽²⁵⁸⁾ .

3- وروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم :

«قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى حماً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال : أما بعد ، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ، ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي»⁽²⁵⁹⁾ .

4- روى جملة من المحدثين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال :

«إني تارك فيكم الثقلين ; كتاب الله وأهل بيتي ، وإنيهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض»⁽²⁶⁰⁾ .

وينبغي الإشارة إلى أنّ الأحاديث الواردة بهذا المضمون أكثر من أن يسعها هذا السّفر الصغير ، وقد ذكر المحقق الجليل السيد مير حامد حسين في كتابه «عقبات الأنوار» أسانيد هذا الحديث .

فيعلم من خلال هذا الحديث الشريف أنّ التمسّك بأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) واتباعهم إلى جانب كتاب الله وسنة نبيه هو من ضروريّات الإسلام ، وأنّ ترك كلام أهل البيت يوجب الضلال والغواية .

وهنا يطرح السؤال التالي نفسه: من هم العترة التي أمر النبي (صلى الله عليه وآله) الأمة باتباعهم ؟ لأجل الجواب على هذا السؤال نذكر الروايات التي بيّنت معنى عترة النبي (صلى الله عليه وآله) .

(257) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 328 ، ح 3874 .

(258) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 329 ، ح 3876 .

(259) صحيح مسلم ، ج 7 ، ص 122 .

(260) المستدرک علی الصحیحین ، ج 3 ، ص 148 . الصواعق المحرقة ، ص 149 ، الباب 11 ، الفصل الأول .

وروي هذا المضمون في كتب أخرى منها : مسند ابن حنبل ، ج 5 ، ص 182 و 189 . كنز العمال ، ج 1 ، ص 44 ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

من هم أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ؟

اتضح من الروايات المذكورة أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) حثّ المسلمين ودعاهم لاتباع عترته ، وجعل الهداية رهينة بالتمسك بها وبالقرآن معاً ، وجعلهما المرجع للأمة بعده ، وصرّح بعدم انفصال أحدهما عن الآخر بقوله :

«وإنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض»

فبما أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) جعل العترة قرينة للقرآن أبداً ونفى انفصالهما للأبد بقوله : «وإنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض» ، فلا بدّ أن يكونوا معصومين من الخطأ ومنزهين عن الزلل ، وأن يكونوا ممن تغدّى من زلال عين المعارف الإلهية الحقّة . ولولا ذلك كله فانهم سينفصلون عن القرآن الكريم ، والحال أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) صرّح بعدم انفصالهما أبداً .

وبهذا يعرف المقصود من العترة وأهل البيت في الحديث الشريف ؛ فإن هذه الصفات لا تنطبق على أحد سوى ذريّته الذين هم عترته وأهل بيته ، وهم أئمة الشيعة عليهم وعلى جدهم آلاف التحية والسلام .

وإليك فيما يلي وعلى ضوء الروايات أدلّة ما ذكرناه :

1- روى مسلم في صحيحه حديث الثقلين عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم ، وذكر فيه أنّ يزيد بن حيان سأل زيد بن أرقم فقال :

«من أهل بيته ؟ نساؤه ؟! قال : لا وأيم الله ، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها ، فترجع إلى أبيها وقومها . أهل بيته أصله وعصبته الذين حرّموا الصدقة بعده»⁽²⁶¹⁾ .

فصرّح هذه الرواية أنّ عترة النبي (صلى الله عليه وآله) الذين يجب التمسك بهم ليسوا نساءه ، وإنّما هم منتسبون إليه مادياً ومعنوياً ، ولهم خصوصيات تميّزهم عن غيرهم بحيث تجعلهم — إلى جانب القرآن — مؤهلين لهداية وقيادة الأمة الإسلامية بعد النبي (صلى الله عليه وآله) .

2- لم يكتفِ النبي (صلى الله عليه وآله) ببيان أوصاف أهل بيته ، وإنّما ذكر عددهم وهو «إثنا عشر» ، فروى مسلم في صحيحه عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة يقول :

«سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : لا يزال الإسلام عزيزاً إلى إثني عشر خليفة . ثمّ قال كلمة لم أفهمها ، فقلت : لأبي ما قال ؟ فقال : كلّهم من قريش»⁽²⁶²⁾ .

كما روى مسلم في صحيحه أيضاً ما يلي :

«لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً»⁽²⁶³⁾ .

(261) صحيح مسلم ، ج 7 ، ص 123 .

(262) صحيح مسلم ، ج 6 ، ص 3 .

فهاتان الروايتان دليل واضح على ما يقول به ويعتقده الشيعة من أن الأئمة الإثنا عشر من ذرية النبي (صلى الله عليه وآله) هم الخلفاء وقادة الأمة بعده (صلى الله عليه وآله)؛ فإنه لا يوجد مصداق للخلفاء الإثني عشر — الذين هم سبب لعزة المسلمين من جانب ، ولهم أهلية قيادة الأمة من الناحية العلمية من جانب آخر ، وأن يكونوا بعد رحلة النبي (صلى الله عليه وآله) مباشرة من جانب ثالث — سوى الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت ، فإننا إذا غضضنا الطرف عن الخلفاء الراشدين ولاحظنا الخلفاء الذين تولوا أمور المسلمين من بعدهم — سواء من بني أمية أو من بني العباس — فإننا نجد أنهم ارتكبوا قبيح الأفعال ، فصاروا عاراً على الإسلام والمسلمين ، ولم يكونوا سبباً لعزتهما . وبهذا يتضح أن المقصود من «أهل البيت» و «العترة» في الحديث المذكور — والذين هم قرين القرآن والذين هم خلفاء النبي (صلى الله عليه وآله) على أمته — هو الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت (عليهم السلام) الحافظين لسنة الرسول والحاملين لعلمه (صلى الله عليه وآله) .

3- ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أيضاً أن الأئمة وخلفاء المسلمين هم من بني هاشم ، وهذا دليل آخر على صحة ما يقول به الشيعة ، وذلك قوله :

«إن الأئمة من قريش ، غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاية من غيرهم»⁽²⁶⁴⁾ .

النتيجة

الروايات المذكورة تسفر عن أمرين :

- 1-** أن التمسك بأهل البيت (عليهم السلام) واتباعهم إلى جانب التمسك بالقرآن واجب .
- 2-** أن أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) باعتبارهم قرين القرآن ومرجع الأمة الإسلامية بعد النبي كما قال هو (صلى الله عليه وآله) ، يتمتعون بصفات وخصائص هي :
 - أ-** هم جميعاً من قريش ومن بني هاشم .
 - ب-** تربطهم جميعاً قرابة برسول الله (صلى الله عليه وآله) تجعل الصدقة عليهم حراماً .
 - ج-** يتمتعون جميعاً بالعصمة ، وإلا فإنهم سينفصلون ويفترقون عن القرآن عملاً ، مع أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : «إنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» .
 - د-** عددهم اثنا عشر ، يأتون بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ، ويلون أمر المسلمين واحداً بعد واحد .

هـ- إنهم سبب لعزة الإسلام والمسلمين ولقوة شوكتهم .

(263) صحيح مسلم ، ج 6 ، ص 3 .

(264) منج البلاغة ، الخطبة 144 .

فمع أخذ هذه الأوصاف بنظر الاعتبار يتّضح أنّ المراد من قوله (صلى الله عليه وآله) : «عترتي أهل بيتي» في الحديث المذكور — والذي أوصى المسلمين فيه باتباعهم — هو الأئمة الإثنا عشر المعصومون ، الذين يفتخر الشيعة باتّباعهم ، وأخذ الأحكام الفقهيّة عنهم .

هل مات أبو طالب على الإيمان حتى تذهبوا لزيارته ؟

الجواب :

أبو طالب ابن عبد المطلب ، ووالد أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وعمّ النبي (صلى الله عليه وآله) ، هو من المؤمنين برسول الله (صلى الله عليه وآله) ورسالته الخالدة ، وكان عوناً له في جميع الشدائد والمشاكل والمعضلات التي واجهته في صدر الإسلام .

عائلة أبي طالب

ولد أبو طالب في بيت البطل المحامي عن التوحيد الإبراهيمي عبد المطلب (رضي الله عنه). وبأدنى تحقيق في تأريخ الجزيرة العربية يرى المتتبع أنّ عبد المطلب حامى عن التوحيد الإبراهيمي في أشدّ الظروف ، وأصعب الأيام ، وأخطر المواقف ، فعندما توجه أبرهة بجيشه العظيم وقيلته نحو مكة المعظمة قاصداً هدم الكعبة ، أغار في طريقه على إبل لعبد المطلب وأخذها ، فلما بلغ ذلك عبد المطلب ، أتاه واستأذن عليه ، وسأله إطلاق إبله ، فتعجّب أبرهة من طلب عبد المطلب وقال : «هذا رئيس قوم وزعيمهم جئت إلى بيته الذي يعبد لأهدمه ، وهو يسألني إطلاق إبله ! أما لو سألتني الإمساك عن هدمه لفعلت ، ردّوا عليه إبله» . فقال عبد المطلب لترجمانه : ما قال لك الملك ؟ فأخبره ، فقال عبد المطلب : «أنا ربّ الإبل ، ولهذا البيت ربّ يمنعه»⁽²⁶⁵⁾ ، وانصرف إلى قریش فأخبرهم الخبر ، وأخذ بحلقة الباب قائلاً :

يا ربّ فامنع منهم حماكا

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا

إمنعهم ان يخربوا فناكا⁽²⁶⁶⁾

إنّ عدوّ البيت من عاداكا

فهذه الكلمات وأمثالها دليل واضح على توحيدة الله سبحانه وتعالى ، وإيمانه به تقدّست أسماؤه ، وثباته عليه ، ولهذا يقول اليعقوبي في تأريخه في شأن عبد المطلب :

«رفض عبادة الأصنام ، ووحد الله عزّ وجلّ»⁽²⁶⁷⁾.

ولنلاحظ الآن ما كان يجول في ذهن هذا الأب حول ابنه أبي طالب :

أبو طالب في نظرة عبد المطلب

يعلم بوضوح من خلال مراجعة طيّات كتب التاريخ أنّ بعض المتنبّئين أخبر عبد المطلب بمستقبل حفيده محمّد (صلى الله عليه وآله) الزاهر ، كما أخبروه بنبوته .

(265) الكامل لابن الأثير ، ج 1 ، ص 261 .

(266) المصدر السابق .

(267) تأريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 7 (طبع النجف) .

فعندما استولى «سيف بن ذي يزن» على حكومة الحبشة

وذلك بعد مولد النبي (صلى الله عليه وآله) بسنتين أتاه وفد العرب وأشرفها وشعراؤها بالتهنئة والمدح وذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه ، فأتاه وفد من قريش ومعهم عبد المطلب بن هاشم واناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء ، فاستأذنوا عليه ، فأذن لهم ، فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه وتكلم بكلام بليغ ، فبشّره أمير الحبشة بأنه سيبعث قريباً نبيّ عظيم الشأن من أهلك وعشيرتك ، وأتته سينشأ في بيتك ، ثم شرع في بيان صفاته وأوصافه فقال :

«اسمه محمد ، يموت أبوه وأمّه ، ويكفله جدّه وعمّه» (268) .

إلى أن يقول في بيان صفات النبي (صلى الله عليه وآله) :

«يعبد الرحمن ، ويدحض الشيطان ، ويخدم النيران ، ويكسر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله» (269) .

ثم قال لعبد المطلب :

«إنك لجدّه يا عبد المطلب غير كذب» (270) .

فلما سمع عبد المطلب هذه البشارة في حق حفيده سجد لله شكراً ، وقال في بيان حال هذا الولد الميمون :

«نعم أيها الملك ، إنّه كان لي ابن ، وكنت به معجباً ، وعليه رقيقاً ، فزوّجته كريمة من كرائم قومي ؛ أمانة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فجاءت بغلام سمّيته محمداً ، مات أبوه وأمّه ، وكفلته أنا وعمّه ، بين كتفيه شامة ، وفيه كلّ ما ذكرت من علامة» (271) .

فمن خلال هذا الكلام يتضح أنّ عبد المطلب كان مطّلعاً على مستقبل ابنه وحفيده ، ولهذا لم يتركه بعد وفاته هكذا ، بل تصدّى لتعيين كفيل له يكفله ويربّيه بعد مماته ، فكفّله خير أولاده أبا طالب .

فمن خلال هذا تتبيّن منزلة أبي طالب عند أبيه الموحد عبد المطلب ، وأتته كان ينظر لولده أبي طالب نظرة إجلال ، وأتته بمرتبة من الإيمان والصلاح بحيث كان لائقاً لكفالة نبيّ كريم (272) .

وإليك فيما يلي الأدلّة الواضحة على إيمان أبي طالب :

أدلة إيمان أبي طالب

(268) السيرة الحليّة ، ج 1 ، ص 136 و 137 (طبع مصر) .

(269) المصدر السابق .

(270) المصدر السابق .

(271) المصدر السابق .

(272) لتفصيل وإيضاح ما ذكرناه بشكل أكثر راجع السيرة الحليّة ، ج 1 ، ص 134 (طبع مصر) . والسيرة النبوية لابن هشام ، ج 1 ،

ص 189 . وكتاب «أبو طالب مؤمن قريش» ص 109 (طبع بيروت) . والطبقات الكبرى ج 1 ، ص 117 (طبع بيروت) .

نقل العلماء والمؤرخون الإسلاميون قصائد رائعة عن أبي طالب ، يمكن أن يُتوصَّل من خلالها ومما حَوَّته في ثناياها إلى إيمان أبي طالب ، ونحن نكتفي بذكر بعضها :

ليعلم خيار الناس أن محمداً أتانا بهدي مثل ما قد أتانا به وقال أيضاً :	نبيّ كموسى والمسيح ابن مريم فكلّ بأمر الله يهدي ويعصم ⁽²⁷³⁾
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً وأنّ عليه في العباد محبة وقال أيضاً :	رسولاً كموسى خط في أول الكتب ولا حيف فيمن خصّه الله بالحب ⁽²⁷⁴⁾
لقد أكرم الله النبيّ محمداً وشقّ له من اسمه ليجلّه وقال أيضاً :	فأكرم خلق الله في الناس أحمد فذو العرش محمودٌ وهذا محمد ⁽²⁷⁵⁾
والله لن يصلوا اليك بجمعهم فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي ولقد علمت بأن دين محمد وقال أيضاً :	حتّى أوسد في التراب دفيناً وابشر بذاك وقرّ منك عيوننا ولقد دعوت وكنت ثمّ أمينا من خير أديان البريّة دينا ⁽²⁷⁶⁾
يا شاهد الله عليّ فاشهد من شكّ في الله فإني مهتد	أني على دين النبيّ أحمد

وقال في آخر أيامه موصياً وجوه قريش بالدفاع عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

أوصي بنصر نبيّ الخير أربعة وحمزة الأسد الحامي حقيقته	إبني علياً وشيخ القوم عباسا وجعفرأ أن تذودا دونه الناسا
---	--

(273) الحجة ، ص 57 . ونحوه في المستدرک على الصحيحين ، ج 2 ، ص 623 .

(274) تاريخ ابن كثير ، ج 1 ، ص 42 . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 72 .

(275) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 78 . تاريخ ابن عساكر ، ج 1 ، ص 275 ، تاريخ ابن كثير ، ج 1 ، ص 266 . تاريخ الخميس ، ج 1 ، ص 254 .

(276) خزانة الأدب ، ج 1 ، ص 261 . تاريخ ابن كثير ، ج 3 ، ص 42 . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 55 . فتح

الباري ، ج 7 ، ص 153 — 155 . الإصابة ، ج 14 ، ص 116 . ديوان أبي طالب ، ص 12 .

كونوا فداء لكم أمي وما ولدت

في نصر أحمد دون الناس أتراسا⁽²⁷⁷⁾

فكلّ منصف إذا ما شاهد هذه الآثار والأبيات الشعرية التي تفصح عن عقيدة قائلها بصراحة تامّة ، يتبيّن له صحّة ما تعتقد به الشيعة من إيمان أبي طالب ، ويتأسف ويتألّم للتّهم الباطلة والعارية عن الأساس التي وجهها بعض الكتاب بدوافع سياسيّة لمؤمن قريش وعم النبيّ (صلى الله عليه وآله) الذي نصره أوائل البعثة في أشدّ الأحوال ، وعند قلة الناصر والمعين .

2— سيرة ومعاملة أبي طالب مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) دليل على إيمانه

نقل جميع المؤرخين الإسلاميين مواقف دفاع أبي طالب عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) والتي لا نرى لها نظيراً في التاريخ الإسلامي ، وهي أدلّة واضحة على رسوخ عقيدته الصحيحة في النبيّ (صلى الله عليه وآله) . فتحملّ أبو طالب عناء المحاصرة والتشريد والعيش في شعب أبي طالب مدة ثلاث سنين ، ورجح العيش إلى جانب النبيّ (صلى الله عليه وآله) في ذلك الشعب على رئاسة قريش ، وبقي مع المسلمين في ذلك الشعب وتحملّ عناء تلك المصاعب إلى أن تمّت المحاصرة الاقتصادية⁽²⁷⁸⁾ .

مضافاً إلى ما ذكر فإنّ أبا طالب حتّ ابنه عليّاً (عليه السلام) على أن يتابع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن يلازمه في تمام تلك الأوقات والحالات الشديدة التي كانت تواجه النبيّ (صلى الله عليه وآله) في صدر الإسلام .

فروى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة أنّ أبا طالب قال لعليّ (عليه السلام) :

«يا بني ، إلزمه ، فإنّه لن يدعوك إلّا إلى خير»⁽²⁷⁹⁾ .

فمن الواضح أنّ هذه الخدمات الجليلة من أبي طالب للنبيّ (صلى الله عليه وآله) وتضحياته من أجله ومن أجل الإسلام أبرز دليل على إيمانه .

ومن هنا أنشأ ابن أبي الحديد في بيان الدور المهم لأبي طالب في الذبّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله :

ولو لا أبو طالب وابنه	لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة أوى وحامى	وهذا بيثرب جسّ الحماما
تكفل عبد مناف بأمر	وأودى فكان عليّ تاما
فقل في ثبير مضى بعدما	قضى ما قضاه وأبقى شماما
فلله ذا فاتحاً للهدى	ولله ذا للمعالي ختاما

(277) متشابهات القرآن (ذيل تفسير الآية (وَ لَيَبْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَبْصُرُهُ) . . الغدير ، ج 7 ص 342 .

(278) للاطلاع أكثر راجع المصادر التالية : السيرة الحلبية ، ج 1 ، ص 134 . تاريخ الخميس ، ج 1 ، ص 253 — 254 . السيرة النبويّة لابن هشام ، ج 1 ، ص 189 . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 52 . تاريخ البعقوبي ، ج 2 . الإصابة ، ج 4 ، ص 115 . الطبقات الكبرى ، ج 1 ، ص 119 .

(279) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 272 .

وما ضرَّ مجد أبي طالب

جهول لغا أو بصير تعامى

كما لا يضرَّ إياب الصبا

ح من ظن ضوء النهار الظلاماً⁽²⁸⁰⁾

3 — وصية أبي طالب دليل على إيمانه

نقل المؤرخون المسلمون كالحلي الشافعي في سيرته ، ومحمد الدياربركري في تاريخ الخميس ، وغيرهما وصية أبي طالب ، فعن الكلبي قال :

«لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم ، فقال: يا معشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب... وإنِّي أوصيكم بمحمد خيراً؛ فإنَّه الأمين في قريش، والصديق في العرب... دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله إلاَّ رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلاَّ سعد، ولو كان لنفسي مدَّة وفي أجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي»⁽²⁸¹⁾.

4 — حبَّ النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي طالب شاهد على إيمانه

جَلَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمَّه أبا طالب في مواقف عديدة ومشاهد مختلفة ، أسفر فيها عن حبه لعمَّه ، إليك فيما يلي نموذجان منها :

أ - روى بعض المؤرخين أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعقيل بن أبي طالب :
«أنا أحبُّك يا عقيل حَبِّين ؛ حَبًّا لك وحبًّا لأبي طالب لأنه كان يحبُّك»⁽²⁸²⁾.

ب - روى الحلي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال في عمَّه أبا طالب :
«ما نالت قريش منِّي شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»⁽²⁸³⁾.

ومن الواضح أنَّ حبَّ النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي طالب وتجليه إياه دليل واضح على إيمانه ، فإنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يحبُّ إلاَّ المؤمنين ، وأما الكفار فهو غليظ شديد عليهم كما صرَّح بذلك الذكر الحكيم بقوله عزَّ من قائل :

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)⁽²⁸⁴⁾.

وقال في موضع آخر :

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)⁽²⁸⁵⁾.

(280) شرح فتح البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 84 .

(281) تاريخ الخميس ، ج 1 ، ص 300 . السيرة الحليَّة ، ج 1 ، ص 391 . روضة الواعظين للفتال النيسابوري ، ص 140 .

(282) تاريخ الخميس ، ج 1 ، ص 163 . الاستيعاب ، ج 2 ، ص 509 .

(283) السيرة الحليَّة ، ج 1 ، ص 391 . الأعلام للزركلي ج 4 ، ص 166 . سبل الهدى والرشاد ، ج 2 ، ص 435 .

(284) الفتح : 29 .

(285) المجادلة : 22 .

فمع الأخذ بنظر الاعتبار الآيات المذكورة وقرنها إلى حب النبي (صلى الله عليه وآله) لإبي طالب لا يبقى مجال للتريد والشك في أن أبا طالب كان في مرتبة عالية من الإيمان .

5 - شهادة صحابة النبي (صلى الله عليه وآله)

شهد بإيمان أبي طالب جملة من الصحابة نذكر بعضهم فيما يلي :

أ - روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان جالساً في الرحبة والناس حوله ، فقام إليه رجل فقال له : يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي أنزلك الله فيه وأبوك معذب في النار ! فقال له : «مه ، فض الله فاك ، والذي بعث محمداً بالحق نبياً ، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله تعالى فيهم»⁽²⁸⁶⁾ .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في موضع آخر :

«كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتن إيمانه ، مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش»⁽²⁸⁷⁾ .

فكلام الإمام هذا يدل على أن أبا طالب كان في درجة عالية من الإيمان ، بل كان من الأولياء الذين لهم الشفاعة للمذنبين .

ب - يقول الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) في حق أبي طالب :

«والله الذي لا إله إلا هو ما مات أبو طالب حتى أسلم»⁽²⁸⁸⁾ .

ب - روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة :

«إن أبا طالب ما مات حتى قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله»⁽²⁸⁹⁾ .

6 - أبو طالب في نظرة أهل البيت (عليهم السلام)

صرح جميع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بإيمان أبي طالب الراسخ ، ودافعوا في المناسبات المختلفة عن هذا المحامي الناصر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ونحن نكتفي بذكر مثالين منها ، هما :

أ - قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) :

«لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه»⁽²⁹⁰⁾ .

ب - روى إمامنا الصادق جعفر بن محمد عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال :

«إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر ، فاتاهم الله أجرهم مرتين ، وإن أبا طالب

أسر الإيمان وأظهر الشرك ، فاتاه الله أجره مرتين»⁽²⁹¹⁾ .

(286) الحجّة ، ص 24 . مئة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ، ص 174 .

(287) وسائل الشيعة ، ج 11 ، ص 481 . الحجّة ، ص 24 .

(288) شرح فحج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 71 . شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ، ج 2 ، ص 298 .

(289) شرح فحج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 71 . بحار الأنوار ، ج 35 ، ص 158 .

(290) شرح فحج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 68 .

فأتضح من خلال الأدلة المذكورة أن أبا طالب يتمتع بالمقامات التالية :

- 1- إيمان قوي وراسخ بالله ورسوله(صلى الله عليه وآله) .
- 2- المؤازرة والنصرة للرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) ، والدفاع عنه في سبيل الإسلام .
- 3- حبّ النبي(صلى الله عليه وآله) إياه .
- 4- له حقّ الشفاعة عند الله يوم القيامة .

وبهذا اتضح وهن وبطلان التُّهم الموجهة لأبي طالب من جانب . كما تنجلي الأستار والحجب عن الحقيقتين التاليتين :

- 1- أن إيمان أبي طالب كان مرضياً عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، وعند أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل البيت ، بل وصحابة رسول الله .
 - 2- أن الاتِّهـامات الموجهة لأبي طالب عارية عن الصحة ، فاقدة للأساس ، وأنّ السبب الرئيسي في وجودها هو الأهداف السياسيّة ، وبتحريك من أمراء الدولتين الأموية والعباسيّة ، حيث كانوا يجهرون بالعداء لعليّ بن أبي طالب(عليه السلام) وذريته الطاهرة (عليهم السلام) .
- وفي هذا المقام نستعرض لك أبرز مصداق استعمل في هذا المجال بتسقيط شخصيّة هذا المحامي للرسول أبي طالب ، والمعروف والمشهور بحديث الضحضاح ، ليتبيّن لك بعد التحليل الذي نجريه عليه — وفقاً لما ورد في القرآن الكريم والمسلم من السنّة النبوية الشريفة ، والأدلة العقلية الواضحة — بطلانه وفقدانه للأساس .

تحليل حديث الضحضاح

نقل بعض الكتاب والمؤلفين — كالبخاري ومسلم — روايتان عن مثل «سفيان بن سعيد الثوري» ، و«عبد الملك بن عمير» ، و«عبد العزيز بن محمّد الدراوردي» و«ليث بن سعد» ، فنسبوا إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، والروايتان هما :

أ - فروى مسلم في صحيحه :

«سمعت العباس يقول قلت : يا رسول الله ، إنّ أبا طالب كان يحوطك وينصرك ، فهل نفعه ذلك ؟ قال : نعم ، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح»⁽²⁹²⁾ .

ب - وروى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري أنّه سمع رسول الله(صلى الله عليه وآله) وذكر عنده عمّه أبو طالب فقال :

(291) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 14 ، ص 70 . الكافي ، ج 1 ، ص 448 ، ح 28 وفيه : «إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف ؛ أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فاتاهم الله أجرهم مرتين» .

(292) صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 135 . المستدرک على الصحيحين ، ج 4 ، ص 581 .

«لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه ، يغلي منه أمّ دماغه»⁽²⁹³⁾ .

فهذا الحديث المفتري وإن كان واضح البطلان ؛ لما تقدّم من الأدلة الدالة على إيمان أبي طالب ، لكننا مع ذلك سنتعرض للبحث عن هذا الحديث ، وسنبحث ذلك ضمن نقطتين :

أ - ضعف أسانيد .

ب - مخالفته للكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة .

ضعف أسانيد حديث الضحضاح

كما اتضح مما سبق أن رواة حديث الضحضاح هم :

«سفيان بن سعيد الثوري» ، و «عبد الملك بن عمير» ، و «عبد العزيز بن محمد الدراوردي» و «ليث بن سعد» .

وسنبحث أحوال هؤلاء الرواة وأقوال الرجاليين من أهل السنة فيهم ، كي يتبين لك حالهم .

أ - سفيان بن سعيد الثوري :

قال الرجالي المعروف بين أهل السنة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي :

«كان يدلس عن الضعفاء»⁽²⁹⁴⁾ .

فهذا الكلام دليل واضح على وجود التدليس في روايات سفيان ، مما يسقط أحاديثه عن الاعتبار .

ب - عبد الملك بن عمير :

قال الذهبي في شأنه :

؟؟ «طال عمره ، وساء حفظه . قال أبو حاتم : ليس بحافظ ، تغير حفظه . وقال

أحمد : ضعيف ، يخلط . وقال ابن معين : مخلط . وقال ابن خراش : كان

شعبة لا يرضاه . وذكر الكوسج عن أحمد : أنه ضعفه جداً»⁽²⁹⁵⁾ .

فمن مجموع هذا الكلام يستفاد أن عبد الملك بن عمير كان متّصفاً بالصفات التالية :

أ - عدم الحفظ والنسيان .

ب - ضعيف (وهو — في علم الرجال — من لا يمكن الاعتماد على روايته) .

ج - كثير الخطأ .

د - مخلط (وهو من يخلط الحديث الصحيح بغيره) .

(293) صحيح البخاري ، ج 7 ، ص 202 .

(294) ميزان الاعتدال ، ج 2 ، ص 169 .

(295) ميزان الاعتدال ، ج 2 ، ص 660 .

ومن الواضح أن كل صفة من هذه الصفات كافية لتضعيف أحاديث هذا الرجل ، مع أنه اجتمعت فيه تمام هذه الصفات .

عبد العزيز بن محمد الدراوردي :

وصفه علماء الرجال من أهل السنة بعدم الحفظ ، والنسيان ، وبعدم إمكان الاحتجاج برواياته ؛ قال أحمد بن حنبل :

«إذا حدث من حفظه جاء ببواطيل»⁽²⁹⁶⁾ .

وقال أبو حاتم :

«لا يحتجّ به»⁽²⁹⁷⁾ .

وقال أبو زرعة :

«سئى الحفظ»⁽²⁹⁸⁾ .

د - الليث بن سعد :

من خلال مراجعة كتب الرجال لعلماء أهل السنة يعلم أن جميع من اسمه «ليث» من الرواة فهو مجهول أو ضعيف فلا يمكن الاعتماد والاستدلال بأحاديثهم .

وليث بن سعد هو أحد الضعفاء والمتساهلين في الشيوخ وفي سماع الحديث ، قال يحيى بن معين :

«كان يتساهل في الشيوخ والسماع»⁽²⁹⁹⁾ .

واعتبره النباي أيضاً من الضعفاء ؛ حيث ذكره في تذييله على الكامل والذي يختصّ بذكر الضعفاء⁽³⁰⁰⁾ .

فيعلم مما ذكرناه أن رواة حديث الضحاح في غاية الضعف ، ولا يمكن الاعتماد على روايتهم .

عدم موافقة حديث الضحاح للكتاب والسنة

في هذا الحديث نسب إلى الرسول(صلى الله عليه وآله) أنه قال إن أبا طالب «في غمرات من النار» «في ضحاح من النار يبلغ كعبيه» ، أو رجا بلوغ شفاعته له بقوله : «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة» ، والحال أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة خصّصت الشفاعة بالمؤمنين والمسلمين ، فإذا كان أبو طالب كافراً فكيف يرجو رسول الله(صلى الله عليه وآله) بلوغ شفاعته إليه وتخفيف عذابه ! وبهذا يتبيّن وهن محتوى هذا الحديث بناء على قول من يرى كفر أبي طالب .

والآن نستعرض لك الأدلة الدالة على عدم الشفاعة للكافر سواء من الكتاب أو من السنة ، وهي :

(296) ميزان الاعتدال ، ج 2 ، ص 633 .

(297) المصدر السابق .

(298) المصدر السابق .

(299) ميزان الاعتدال ، ج 3 ، ص 423 .

(300) ميزان الاعتدال ، ج 3 ، ص 423 .

أ - قال تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم :

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ)⁽³⁰¹⁾ .

ب - نفت السنّة النبوية الشفاعة للكفار ، فروى ابن أبي شيبة في «المصنّف» ، وعمرو بن أبي عاصم في كتاب «السنّة» عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال :
«أُعْطِيَتِ الشَّفَاعَةُ ، وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْ لَمْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئاً»⁽³⁰²⁾ .

فعلى هذا الأساس يكون حديث الضحضاح — بناء على قول من يعتقد كفر أبي طالب — عارياً عن الصحّة ومخالفاً لكتاب الله وسنّة رسوله (صلى الله عليه وآله) .

النتيجة :

على ضوء ما مرّ تبين أنّ حديث الضحضاح فاقد للاعتبار سنداً وممتناً ، فلا يمكن الاستدلال به .
وبهذا ينهار أقوى دليل يعتمد عليه من يخذش بشخصيّة أبي طالب ، ويشرق بذلك وجه مؤمن قريش أبي طالب ليقشع ظلام الافتراء والفتنة .

(301) فاطر : 36 .

(302) المصنّف لابن أبي شيبة ، ج 7 ، ص 432 ، ح 104 . كتاب السنّة لعمر بن أبي عاصم ، ص 359 ، ح 803 .

هل يعتقد الشيعة خيانة جبرئيل في إبلاغ الرسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدل علي (عليه السلام) ؟

الجواب :

قبل الدخول في بيان وهن هذه التهمة الشنيعة والتي نسبها إلى الشيعة بعض الجهّال أو المغرضين ، لا بأس ببيان أصلها وجذرها ، فنقول :

أصل التهمة وجذرها

ذكرت الآيات الكريمة والروايات المفسّرة لها أنّ اليهود كانوا يتّهمون جبرئيل (عليه السلام) بالخيانة في إبلاغ الرسالة ؛ فإنّ الله أمره أن يجعل النبوة في ذرية يعقوب إسرائيل الله ، فجعلها في ذرية إسماعيل . وعلى هذا الأساس اعتبر اليهود جبرئيل (عليه السلام) عدوًّا لهم⁽³⁰³⁾ ، وجعلوا عبارة «خان الأمين» شعاراً لهم . ولهذا فإنّ القرآن الكريم في مقام الردّ على دعوى اليهود وصف جبرئيل (عليه السلام) بالأمين ، في قوله عزّ من قائل :

(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ)⁽³⁰⁴⁾ .

وقال في موضع آخر :

(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ)⁽³⁰⁵⁾ .

فمن الآيات الشريفة المذكورة ومما جاء في تفسيرها يعلم بوضوح أنّ اليهود كانوا يعادون جبرئيل (عليه السلام) ، ويسمّونه «ملك العذاب» ، ويتّهمونه بالخيانة في إبلاغ الرسالة . فأساس شعار «خان الأمين» من خرافات اليهود وإبداعاتهم ، فبعض الكتّاب الجهّال الذين لهم عداوة قديمة وأحقاد دفيئة ضدّ الشيعة يشربون من هذا المنبع الكدر ، والماء الأجاج ، فيتّهمون الشيعة بهذه التهمة الشنيعة .

النبوة في نظر الشيعة

يعتقد الشيعة تبعاً للكتاب العزيز والروايات الشريفة الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) أنّ محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) نبيّ مرسل مبعوث من الله سبحانه ، بل هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأفضلهم وأرفعهم رتبة ، وهو المبعوث بأفضل دين للعالمين . يقول سيدنا ومقتدانا أمير المؤمنين وسيد الوصيين في خطبة له عندما بويع بعد مقتل عثمان :

(303) انظر تفسير الفخر الرازي ، ج 1 ، ص 436 و 437 (طبعة مصر) .

(304) الشعراء : 194 .

(305) البقرة : 97 .

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خاتم النبيين ،
وحجة الله على العالمين»⁽³⁰⁶⁾ .

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) :

«لم يبعث الله عزّوجلّ من العرب إلاّ خمسة أنبياء : هوداً ، وصالحاً ، وإسماعيل ، وشعبياً ،
ومحمداً خاتم النبيين(صلى الله عليه وآله)»⁽³⁰⁷⁾ .

فهذا الحديث الشريف يثبت بطلان ما اتهم به الشيعة ، فإن إمامنا الصادق(عليه السلام)بيّن أن النبيّ
محمدًا(صلى الله عليه وآله)خاتم النبيين .

وعليه فالشيعة يعتقدون أن جرثئيل الأمين(عليه السلام) لم يُخّن في إبلاغ الرسالة ، وأنّ محمد بن عبد
الله(صلى الله عليه وآله) نبيّ بالحقّ ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، ويعتقدون أنّ عليّ بن أبي طالب(عليه
السلام) وصيّّه وخليفته بالحق .

ونرى من المناسب هنا أن نذكر الحديث التالي والذي رواه كلا الفريقين في كتبهم المعتمدة ، وهو
الحديث المعروف بحديث المنزلة ، حيث إنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) بيّن فيه أن رسالته آخر رسالة
سماوية ، وأنّ وصيّّه وخليفته عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) ، حيث يخاطب النبيّ(صلى الله عليه وآله)
عليّاً بقوله :

«أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»⁽³⁰⁸⁾ .

فهذه الرواية من الناحية السنيّة محلّ اعتماد كبار المحدثين الإسلاميين سنّة وشيعة ، وهي دليل واضح
على صحة ما يقول به الشيعة في أمرين هما :

1 - أنّ محمد بن عبد الله(صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء وأفضلهم ، وأنّ الله اجتبه واختاره من
بين خلقه لهذه الرسالة الخالدة ، وأنّه لا نبيّ بعده .

2 - أنّ عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) وصيّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) وخليفته من بعده .

(306) الكافي ، ج 8 ، ص 67 . بحار الأنوار ، ج 92 ، ص 584 . نهج السعادة ، ج 1 ، ص 188 .

(307) بحار الأنوار ، ج 11 ، ص 42 .

(308) هذا الحديث له مصادر كثيرة تشير إلى بعضها فيما يلي :

صحيح البخاري ، ج 6 ، ص 3 ، باب غزوة تبوك . صحيح مسلم ، ج 7 ص 120 ، باب فضائل عليّ بن أبي طالب . سنن ابن ماجه ، ج 1 ،
ص 55 ، باب فضائل أصحاب النبيّ(صلى الله عليه وآله) . سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 302 . و ص 304 . الكافي ، ج 8 ، ص 107 ، ج

80 . علل الشرائع ، ج 2 ، ص 474 . معاني الأخبار ، ص 74 .

ما هو الملاك والمعيار في التقية ؟

الجواب :

التقية : ستر الاعتقاد وكنمان الإيمان عن المخالفين للوقاية من التعرض للضرر المادي والمعنوي الديني والديني ، وهي أحد التكاليف الشرعية على كل مسلم ، وجذور التقية في القرآن الكريم .

التقية في النظرة القرآنية

نجد في القرآن الكريم والذكر الحكيم آيات عديدة في هذا المعنى ، نذكر بعضها فيما يلي :

أ - (لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)⁽³⁰⁹⁾ .

فهذه الآية شاهد للحقيقة التي ذكرناها ، وأنه لا يجوز إبراز المحبة للكفار إلا من أجل حفظ النفس وتوقي الأخطار ، ففي هذه الحال يجوز إبراز المحبة لهم .

ب - (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)⁽³¹⁰⁾ .

فيقول المفسرون في شأن نزول هذه الآية الشريفة أن عمار بن ياسر وأباه وأمه ابتلوا بالكفر والمشركين ، فعرضوا عليهم أن يكفروا وأن يتركوا دين الإسلام ويرجعوا إلى دينهم الأول ، فشهد من كان مع عمار بالوحدانية لله سبحانه وبنبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، فاستشهد بعض وعذب بعض ، وأما عمار فقد ابرز خلاف ما يعتقد تقية ، وقال بلسانه ما يرضي الكفار . فلما ذهب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان في قلق وعدم ارتياح مما صدر منه ، فهداه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآله) وسكن عليه ، فنزلت الآية المذكورة⁽³¹¹⁾ .

فيوضح من هذه الآية ومن أقوال المفسرين أن التقية — التي هي كتمان العقيدة لحفظ النفس وللوقاية من التعرض للضرر المادي والمعنوي — كانت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد أقرها دين الإسلام العزيز .

التقية في النظرة الشيعية

(309) آل عمران : 28 .

(310) النحل : 106 .

(311) راجع تفسير الدر المنثور ، ج 4 ، ص 131 ، وغيره ذيل الآية .

لما كانت الحكومات الظالمة لبني أمية وبني العباس ومن تلاهما في مختلف العصور قد شنت حرباً شعواء ضدّ الشيعة ، فحاولت قتلهم ، استخدم الشيعة أسلوب التقيّة القرآني للحفاظ على أرواحهم وأرواح إخوانهم خلال تلك الظروف القاسية .

ومن الواضح أنّه في مثل هذه الأجواء التي خيم عليها الاستبداد والظلم لا يوجد سبيل آخر للشيعة للنجاة من هذه المحنة ومن هذا الظلم الذي هدّد كيان الشيعة بالفناء . ولهذا فلو لم يسلك حكام الجور وأتباعهم سبيل قتل وتعذيب وإقصاء الشيعة لما كان مبرّر للشيعة في استخدام التقيّة .

الجدير بالذكر أنّ التقيّة لا تختصّ بالشيعة ، بل إنّ بقيّة المسلمين يقولون بها أيضاً تجاه العدوّ الفاجر الذي يخالف جميع المذاهب ؛ كالخوارج ، والحكومات الظالمة التي لا تتحرّج من سفك الدماء ومن كلّ حرام ، ففي صورة عدم إمكان مواجهتهم يلتجئون إلى درع التقيّة ، فيسترون عقيدتهم لحفظ دمائهم . وعليه فإذا عاش المسلمون جميعاً في أجواء تسودها الألفة والتفاهم والوحدة فسوف لا يبقى مجال للتقيّة .

النتيجة :

نستنتج مما مرّ الأمور التالية :

- 1 - إنّ للتقيّة جذوراً قرآنية ، واستخدام الصحابة لها وتأييد الرسول الأكرم لها دليل واضح على جوازها وتحقيقها والعمل بها في صدر الإسلام .
- 2 - إنّ الحافز لاستخدام الشيعة للتقيّة هو التوقّي عمّا كانوا يعيشونه من الظلم والقتل الذريع ، والذي كان يهدّد الكيان الشيعي بالزوال والفناء .
- 3 - عدم اختصاص التقيّة بالشيعة بل هي موجودة عند غيرهم من المسلمين أيضاً .
- 4 - إنّ التقيّة لا تختصّ بالتقيّة من الكفّار والمشرّكين وذلك بكتمان العقائد الإسلامية عنهم ، بل الملاك في التقيّة وكتمان العقائد هو حفظ النفس من العدوّ الذي لا يتحرّج من سفك الدماء ، ولا يمكن مقاومته ، أو أنّ الشرائط الحاكمة غير مناسبة لمواجهته .
- 5 - إذا عاش المسلمون جميعاً في أجواء تسودها الألفة والتفاهم والوحدة فسوف لا يبقى مجال للتقيّة .

لماذا اعتبر القانون الأساسي للجمهورية الإسلامية المذهب الجعفري المذهب الرسمي؟

الجواب :

لا شكّ ولا ريب في أنّ جميع المذاهب الإسلاميّة محترمة في نظر القانون الأساسي للجمهورية الإسلاميّة . كما لا ريب في وجود الاختلاف بين المذاهب الإسلاميّة — من الجعفرية والشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية — في تعيين الوظائف الشرعية .

ومن جانب آخر ينبغي رعاية الاتساق والانسجام بين القوانين والمقررات الحقوقية للمجتمع حين تدوينها ، ومن هنا فلا بدّ من رعاية مذهب واحد من المذاهب الإسلاميّة لوضع القوانين المختلفة ، وإلاّ فإنّه مع تعدد منابع التي تنهل منها القوانين لا يمكن أن توضع قوانين منسجمة ومتناسقة .

وعلى هذا فمن المناسب اختيار مذهب واحد من بين المذاهب الإسلاميّة المختلفة بعنوانه أساساً لتدوين القوانين للحيلولة دون حصول الخلل والتبعثر وعدم الانسجام في قوانين الدولة ، وتسهيل الطريق لسنّ قوانين متّسقة ومتّسقة في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها .

الأساس والملاك في تعيين المذهب الجعفري

وهنا يطرح سؤال آخر وهو : على أيّ أساس تمّ اختيار المذهب الجعفري من بين المذاهب الإسلاميّة المتعدّدة وجعله محوراً لقوانين الدولة ؟

وجوابه : إنّ الأغلبية الساحقة من سكّان الجمهورية الإسلاميّة هم من المسلمين ومن أتباع المذهب الجعفري ، فهم يعيّنون وظائفهم الفردية والاجتماعية من خلال هذا المذهب لا غير . وعليه فمن الطبيعي جدّاً أن يكون المذهب الرسمي للدولة هو المذهب الجعفري ، وهذا لا يناهض شيئاً من الموازين المنطقية والحقوقية .

احترام المذاهب الإسلاميّة الأخرى

القانون الأساسي للجمهورية الإسلاميّة وإن كان وفقاً للمذهب الجعفري ، لكن لوحظ فيه احترام جميع المذاهب الإسلاميّة الأخرى من الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية والزيدية وغيرها ، بل روعيت فيه حقوق أتباع المذاهب الأخرى في أداء ما يلي وفقاً لمذاهبهم وفقههم :

1- أداء الشعائر الدينية والمذهبية .

2- التعليم والتربية الدينية .

3- أداء الأفعال الفردية .

4- الأحكام المذهبية الخاصّة ; كالزواج، والطلاق ، والإرث ، والوصية ، وغيرها .

مضافاً إلى ذلك كلّه فإنّ المدن التي غالبيّة سكّانها من أحد المذاهب الأخرى تعطى بعض الصلاحيّات لمسؤوليها وفقاً للمذهب الغالب في تلك المدينة ، ضمن إطار صلاحيّات الهيئة المشرفة على البلديّة ، في نفس الوقت الذي تحفظ فيه حقوق المذاهب الأخرى .

ولأجل رفع الإبهام وإيضاح المسألة بنحو أكثر نذكر الأصل الثاني عشر من الفصل الأوّل من فصول القانون الأساسي للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة :

«الدين الرسمي لإيران هو الإسلام ، والمذهب هو المذهب الجعفري الإثني عشري ، وهذا الأصل لا يقبل التغيير إلى الأبد . وأما المذاهب الإسلاميّة الأخرى من الحنفيّة والشافعيّة والمالكيّة والحنبليّة والزيدية فإنّ لها الاحترام الكامل ، ولأتباع هذه المذاهب الحرّية التامّة في أداء شعائرهم الدينيّة والمذهبيّة طبقاً لمذاهبهم وفقههم ، وفي التعليم والتربية الدينيّة ، والأحوال الشخصيّة (كالزواج ، والطلاق ، والإرث ، والوصيّة) ، والدعاوى المتعلّقة بها في المحاكم لها صفة رسميّة . وتكون القوانين المحليّة - ضمن إطار صلاحيّات الهيئة المشرفة على البلديّة - في كلّ مدينة غالبيّة سكّانها من أحد المذاهب الأخرى وفقاً لذلك المذهب مع حفظ حقوق المذاهب الأخرى» .

فعلى ضوء هذا الأصل تتّضح مكانة ومنزلة المذاهب الأخرى ومدى احترامها في نظر القانون الأساسي للجمهورية الإسلاميّة .

هل يعتقد الشيعة وجوب صلاة الوتر ؟

الجواب :

صلاة الوتر إحدى النوافل والصلوات الليلية التي يرى المسلمون وأتباع النبي (صلى الله عليه وآله) استحبابها . لكن تبعاً للروايات الشريفة ذكر فقهاء الشيعة بعض الأمور بعنوان أنها «خصائص النبي (صلى الله عليه وآله)» ، ومنها وجوب صلاة الوتر عليه (صلى الله عليه وآله) .

فذكر العلامة الحلبي (قدس سره) في كتابه «تذكرة الفقهاء» حوالي سبعين خصيصة للنبي (صلى الله عليه وآله) ، فقال في أول كلامه :

«لا شك أن الله تعالى شرف رسوله محمداً عليه [وآله] أفضل الصلاة والسلام ، وميزه عن سائر خلقه بأن خصه بأشياء فرضها عليه دون خلقه ... فأما الواجبات عليه دون غيره من أمته أمور :

(أ) السواك .

(ب) الوتر .

(ج) الأضحية .

روي عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «ثلاث كتبت عليّ ولم تكتب عليكم; السواك، والوتر، والأضحية...»⁽³¹²⁾ .

فعلى هذا يعتقد الشيعة وجوب صلاة الوتر على النبي (صلى الله عليه وآله) واستحبابها للمسلمين عامة .

(312) تذكرة الفقهاء ، ج 2 ، ص 565 كتاب النكاح ، المقدمة الرابعة .

هل الاعتقاد بقدرة أولياء الله الغيبية توجب الشرك ؟

الجواب :

من الواضح أنّ كلّ إنسان حينما يطلب شيئاً من آخر فهو يعتقد أنّه قادر على الإتيان به ، وهذه القدرة على نوعين :

أ - أن تكون قدرته على الإتيان بالشيء قدرة مادّية ؛ نظير طلبنا من شخص الإتيان بقدرح من الماء .

ب - أن تكون قدرته على الإتيان بالشيء قدرة غيبية وخارجة عن نطاق المادّة ؛ نظير اعتقادنا بأنّ عبداً مخلصاً لله كعيسى بن مريم له القدرة على علاج ما يعجز عنه الأطباء ، فبنفسه المبارك يداوي المرضى .

فمن الواضح أنّ هذه القدرة الغيبية التي نعتقد بها إذا كانت معتمدة على قدرة الله سبحانه وإرادته فلا تنافي التوحيد بل هي نظير الاعتقاد بالقدرة المادّية ، فكلاهما موهبة من الله سبحانه ، فكما أعطى سبحانه الناس هذه القدرة المادّية ، كذلك أعطى هذه القدرة الغيبية لبعض عباده المخلصين .

ولتوضيح الجواب نقول : الاعتقاد بالقدرة الغيبية لأولياء الله سبحانه يمكن أن تتصوّر على نحوين :

أ - الاعتقاد بالقدرة الغيبية لشخص مع اعتقاد استقلاله في القدرة ، بحيث ننسب الفعل الإلهي إليه مستقلاً .

فلا شكّ ولا ريب أنّ الاعتقاد بالقدرة الاستقلالية عن قدرة الله سبحانه بهذا النحو شركٌ بالله ؛ وذلك أنّه يجعل غير الله منشأً للقدرة بالأصالة والاستقلال ، وينسب الفعل الإلهي إليه ، مع أنّ الباري عزّ اسمه هو القادر وهو المنشئ لجميع أنواع القدرة .

ب - الاعتقاد بالقدرة الغيبية لبعض أولياء الله المخلصين مع الاعتقاد بأنّها نابعة من قدرة الله سبحانه وتعالى ، وأنّ أفعال أولياء الله هذه بإذنه سبحانه ، وأنّهم ليسوا إلاّ وسائط لظهور هذه القدرة وتجليها ، وليس لهم قدرة مستقلة عن قدرته عزّوجلّ ، بل هم معتمدون في وجودهم وفي قدرتهم على فعل هذه الأفعال على الباري سبحانه وتعالى .

ومن الواضح أنّ مثل هذا الاعتقاد لا يوجب شركاً ، فاعتقاد هذا النحو من القدرة ليس اعتقاداً بالوهبة هؤلاء الأولياء ، وليس فيه نسبة الأفعال الإلهية لهم ، فإنّ هؤلاء الأولياء الصالحين فعلوا هذه الأفعال بقدرتهم الغيبية التي وهبها الله لهم ، وقد فعلوها بإذنه تعالى وإيرادته التي لا تتخلّف .

قال تعالى في كتابه الكريم والذكر الحكيم :

(وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) (313) .

وبهذا البيان المختصر أتضح أن هذه العقيدة لا توجب الشرك ، بل هي منسجمة تماماً مع التوحيد .

القدرة الغيبية لأولياء الله في نظر القرآن

ذكر الكتاب العزيز صراحة أسماء جملة من أولياء الله المخلصين الذين كانوا يتمتعون بهذه القدرة الغيبية بإذن الله سبحانه ، وإليك فيما يلي بعض الفقرات من الذكر الحكيم في هذا المجال :

1 – القدرة الغيبية لموسى (عليه السلام)

أمر الباري سبحانه نبيه موسى (عليه السلام) أن يضرب الصخرة بعصاه لتتفجر منها عيون الماء الزلال ، وذلك قوله :

(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) (314) .

2 – القدرة الغيبية لعيسى (عليه السلام)

ذكرت القدرة الغيبية لعيسى (عليه السلام) في القرآن الكريم في مواضع عديدة ، نشير إلى نموذج منها :

(أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ...) (315) .

3 – القدرة الغيبية لسليمان (عليه السلام)

بيّن القرآن الكريم القدرات الغيبية التي وهبها الله لنبيه سليمان (عليه السلام) بقوله :

(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) (316) .

فلا ريب أن ما صدر عن موسى (عليه السلام) من تفجير عيون الماء من الصخرة الصلدة بسبب ضربها بعصاه الخفيفة ، وما صدر عن عيسى (عليه السلام) من خلق الطير من الطين ، ومعالجة المرضى الذين عجز الأطباء عن علاجهم ، وإحياء الموتى ، وما صدر عن سليمان (عليه السلام) من فهم منطق الطير ، كلّها أمور خارقة للعادة ، وخارجة عن الجرى الطبيعي للأمور ، وهي نوع من تنفيذ القدرة الغيبية .

(313) الرعد : 38 .

(314) البقرة : 60 .

(315) آل عمران : 49 .

(316) النمل : 16 .

فهل يعدّ اعتقادنا بقدرة أولياء الله الغيبية شركاً وبدعة في الدين ، والحال أنّ القرآن الكريم يصرّح ويصدع بهذه الآيات البينة لبيان قدرتهم الغيبية ؟ !

وبهذا يتّضح جيداً أنّ الاعتقاد بالقدرة الغيبية لأولياء الله الصالحين لا تعني الاعتقاد بالوهيتهم ، ولا تعني نسبة الأفعال الإلهية إليهم ، وإلاّ فإنّه يلزم منه القول بأنّ موسى وعيسى وسليمان (عليهم السلام) وغيرهم آلهة بحسب النظرة القرآنية ، مع أنّ جميع المسلمين يعلم بأنّ القرآن يعدّ الأنبياء عبداً مخلصين لله سبحانه وتعالى .

وبهذا اتّضح إلى هنا أنّ الاعتقاد بالقدرة الغيبية لأولياء الله المخلصين إذا كانت مستندة إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ، وأنّ أولياء الله وسائط لظهور هذه القدرة وتجليها ، فلا توجب شركاً ، بل هي منسجمة مع التوحيد تماماً ، فإنّ المعيار في التوحيد هو أن ننسب جميع ما في الكون من القدرة لله سبحانه وتعالى ، وأن نعتقد أنّه تعالى المنشئ والمفيض لأنواع القدرة والحركة على المخلوقات .

لماذا تقولون أنّ مقام الإمامة أرفع من مقام النبوة ؟

الجواب :

للإجابة على هذا السؤال لابدّ من بيان المعنى الدقيق للعناوين التالية لورودها في القرآن الكريم والروايات الشريفة : «النبوة» ، «الرسالة» ، «الإمامة» ، ليتضح سبب رفعة مقام الإمامة على النبوة والرسالة .

1- مقام النبوة

لفظ «النبى» مشتقّ من مادّة «نبا»⁽³¹⁷⁾ ، والنبأ هو الخبر المهمّ ، وعليه فمعنى «النبى» هو الحامل للخبر المهمّ أو المخبر به . ويطلق النبىّ في الاصطلاح القرآني على الإنسان الذي يتلقّى الوحي عن الله عزّوجلّ ، فيخبر الناس عن الله من دون واسطة أخرى من البشر ، ولهذا فقد عرف العلماء النبىّ بما يلي :

«هو الذي يؤدّي عن الله تعالى بلا واسطة من البشر»⁽³¹⁸⁾

فعلى هذا الأساس تكون وظيفة النبىّ مشخّصة ومحدّدة في هذا الإطار ؛ وهو تلقّي الوحي من السماء ، وإبلاغ الناس ما أوحى إليه ، ولهذا فإن القرآن الكريم يقول في هذا المضمار :

(فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)⁽³¹⁹⁾ .

2 - مقام الرسالة

يطلق مصطلح الرسول في قاموس الوحي على النبىّ الذي عليه مسؤوليتان ؛ تلقّي الوحي من السماء وإبلاغ الناس به ، ومسؤوليّة تبليغ الرسالة الإلهيّة الملقاة على عاتقه إلى الناس . يقول القرآن الكريم في هذا المضمار :

(فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَي رَسُولُنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)⁽³²⁰⁾ .

وبهذا يتّضح أنّ مقام الرسول غير مقام النبىّ ، وأنّ الرسالة مقام يمنح للنبىّ . وبعبارة أخرى : أنّ النبوة والرسالة عنوانان يشيران إلى خصوصيّات الأنبياء ، فالنبوة باعتبار أنّ النبىّ حامل للأنباء والأخبار عن الله عزّوجلّ ، والرسالة باعتبار أنّ النبىّ مبلغ للرسالة الإلهيّة .

(317) قال الجوهري : النبىّ : المُخْبِر عن الله عزّوجلّ ، مَكْبُةٌ ، لأنه أتى عنه ، وهو فعيل بمعنى فاعل . وفي النهاية : فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من التّبا ؛ الحَبر ، لأنه أتى عن الله ؛ أي أخبر . قال : ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه (لسان العرب : 1 / 162 / نبا) .

(318) التبيان للشيخ الطوسي ، ج 4 ، ص 474 . النكت الاعتقادية للشيخ المفيد ، ص 34 . روضة الواعظين ، ص 49 .

(319) البقرة : 213 .

(320) المائدة : 92 .

فنستنتج من مجموع ما ذكر أن مهمة الأنبياء والمرسلين هي بيان الأحكام من الحلال والحرام وهداية الناس إلى طريق السعادة ، وليس لهم مهمة غير إخبار الناس وإبلاغ الرسالة .

3 - مقام الإمامة

مقام الإمامة في النظرة القرآنية غير مقامي النبوة والرسالة ، ومقام الإمامة يلازم منح الصلاحيات الكثيرة للإمام لأجل قيادة وإدارة الأمة .

وإليك فيما يلي الأدلة الواضحة على ما ذكرناه من خلال الآيات الشريفة :

1- ذكر القرآن الكريم في شأن منح إبراهيم الخليل(عليه السلام) مقام الإمامة :

(وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)⁽³²¹⁾ .

فالآية الكريمة تبين أمرين :

أ - تدل الآية بوضوح على مغايرة الإمامة لمفهوم النبوة والرسالة ؛ وذلك أن إبراهيم(عليه السلام) كان نبياً قبل جعله إماماً بسنين كثيرة ، ومرّ بامتحانات عسيرة ، منها عزمه على ذبح ولده إسماعيل(عليه السلام) . والدليل على أن إبراهيم(عليه السلام) كان نبياً قبل جعله إماماً هو :

إننا نعلم أن إبراهيم(عليه السلام) لم يكن له ولد ، وإنما رزق إسماعيل وإسحاق(عليهما السلام) في سنّ الكهولة من عمره ، فالقرآن الكريم يقول عن لسان إبراهيم :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ)⁽³²²⁾ .

فمن هنا يعلم أن امتحان إبراهيم(عليه السلام) بذبح إسماعيل(عليه السلام) — والذي كان بعد مروره بامتحانات عسيرة أخرى — هو الذي هيأه لمقام الإمامة ، وقد نال مقام الإمامة في أواخر أيام حياته(عليه السلام) ، مع أنه كان نبياً قبل ذلك بسنين متطوالة ؛ حيث أُوحي إليه قبل أن يرزق ذرية ، والوحي علامة النبوة⁽³²³⁾ .

ب - يستفاد من قوله تعالى : (وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) أن مقام الإمامة الإلهية وقيادة الأمة في مرتبة أعلى وأرفع من مرتبة النبوة والرسالة ؛ فإن القرآن الكريم يصرّح بأن إبراهيم(عليه السلام) نال هذا المقام بعد أن كان رسولاً نبياً وبعد أن ابتلي ببلايا شديدة وامتحانات صعبة ، وخرج منها مرفوع الرأس ، مُنح له مقام الإمامة ، وسبب ذلك واضح وهو أن مقام الإمامة أرفع من مقام النبوة والرسالة ؛ فإن من وظائف مقام الإمامة مضافاً إلى تلقّي الوحي وتبليغ الرسالة هو قيادة الأمة ، وإدارة

(321) البقرة : 124 .

(322) إبراهيم : 39 .

(323) أنظر في ذلك الآيات 99 — 102 من سورة الصافات ، والآية 53 و 54 من سورة الحجر ، والآية 70 و 71 من سورة هود .

شؤونهم بنحو صحيح في طريق الهداية لأجل إيصالهم إلى الكمال والسعادة ، ومن الواضح

أن هذا المقام مقام جليل رفيع ، ولا يناله أحد إلا بعد المرور بامتحانات عسيرة ومتتالية .

2 - يتضح من الآية المتقدمة أن إبراهيم(عليه السلام) بعد أن نال مقام الإمامة الإلهية وقيادة الأمة بعد تلك الامتحانات طلب من الله عزّوجلّ أن يجعل هذا المقام والمنصب في ذريته . ومن الآيات الأخرى الواردة في الكتاب الحكيم يتبين أن الله قد استجاب دعاء وطلب إبراهيم(عليه السلام) ، وأنه جعل الإمامة في صالحه نسله وذريته ، فقال تعالى :

(فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (324) .

فيستفاد من الآية أن مقام الإمامة وقيادة الأمة غير مقام النبوة والرسالة ، وأن الله منح هذا المقام خليفه إبراهيم(عليه السلام) بعد ابتلائه بامتحانات عسيرة ، فعندها طلب خليل الرحمن من ربّ العزة أن يبقى الإمامة وقيادة الأمة في ذريته ، فأبقى الله هذا المقام في صالحه ذريته ، فأعطاهم (الكتاب وَ الْحِكْمَةَ) وهو رمز النبوة والرسالة ، (وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) وهو مقام الإمامة وقيادة الأمة وزعامة الناس ، وبهذا فقد لبى طلب إبراهيم(عليه السلام) ، ولهذا نجد أن بعض ذريته — كيوسف ، وداود ، وسليمان — كانوا قادة للأمة وأئمة مضافاً إلى كونهم أنبياء .

وبهذا يتضح أن مقام الإمامة غير مقام النبوة والرسالة . ولأهمية مقام الإمامة وسعة الصلاحيات المعطاة للإمام فإن مقام الإمامة أرفع من مقام النبوة .

رفعة منزلة الإمامة

أتضح من البيانات السابقة أن مهمة النبي والرسول — باعتبارهم أنبياء ورسول — هي إيضاح طريق الحق والهداية للناس ، ومتى ما نال النبي أو الرسول مقام الإمامة تحمّل عبء مسؤولية أكبر ، وبالتالي تحمّل أعباء مسؤولية تحقيق الأهداف السماوية ، وتطبيق الأحكام الشرعية ، لتحقيق مجتمع سعيد ومثالي ، ويقود الأمة في طريق يضمن لها فيه سعادة الدارين ؛ الدنيا والآخرة .

ومن الواضح أن تحمّل مسؤولية خطيرة كهذه بحاجة إلى مؤهلات خاصة ، وقدرة معنوية فائقة ، واستعداد على مستوى رفيع ، فإن القيام بهذه المهمة الصعبة يلزم مواجهة المشاكل الكثيرة ، ويحتاج إلى مقاومة الأهواء ، والصبر على الأذى في سبيل الله سبحانه ، ولا يمكن تحقّقها من دون وجود المحبة الإلهية في القلب ، والفناء في ساحة رضاه تقدّست أسماؤه .

ومن هنا فإنّ الله سبحانه لم يمنح إبراهيم(عليه السلام) هذا المقام إلا بعد امتحانه الشديد ، وابتلائه المتتالي ، وفي آخر سنين عمره الشريف . ولهذا فلم يتزوّج بهذا المقام إلا عباد الله المخلصين ، كنبينا الأكرم(صلى الله عليه وآله) ، ولم تودع قيادة الأمة إلا إلى هؤلاء .

هل يوجد تلازم بين النبوة والإمامة ؟

يطرح السؤال التالي نفسه وهو أن النبي الذي وصل إلى مقام النبوة هل يجب أن يكون إماماً؟ والإمام الذي وصل إلى مقام الإمامة هل يجب أن يكون نبياً؟

وجواب هذا السؤال بكلا شطريه هو النفي . وإليك فيما يلي توضيح الجواب من خلال آيات الكتاب العزيز .

فيتضح من الآيات النازلة في بيان قتال طالوت وجالوت أن الله سبحانه وتعالى جعل النبوة بعد موسى (عليه السلام) في رجل اسمه «اشموئيل» ، مع أن مقام الإمامة وقيادة الأمة كانت في عاتق طالوت ، وإليك تفصيل الكلام :

بعد رحيل النبي موسى (صلى الله عليه وآله) قال طائفة من بني إسرائيل لنبيّ زماتهم :
(اَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (325) .

فقال لهم نبيهم :

(وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (326) .

فيستفاد من الآية المذكورة ما يلي :

1 - من الممكن أن توجب المصلحة انفكاك النبوة عن الإمامة وقيادة الأمة ، فتكون النبوة في شخص ، والإمامة وقيادة الأمة في شخص آخر ، وكلاهما في زمان واحد ، وكلّ منهما يليق بمنصبه . ولم يعترض بنو إسرائيل على تفكيك أحد هذين المنصبين عن الآخر ؛ بأن يقولوا : أيها النبي أنت أولى وأليق بمقام الإمامة وقيادة الأمة . وإنما قالوا في مقام الاعتراض : نحن أولى وأليق منه بمقام القيادة .

2- إنَّ المقام الذي حازه طالوت كان من عند الله وبفضل الله سبحانه ، وذلك قوله :
(إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) .

وقال أيضاً :

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ) .

3- إنَّ منصب ومقام طالوت لم يكن منحصراً في قيادة الجيش ، بل كان قائداً لبني إسرائيل ، وذلك بشهادة قوله تعالى : (مَلِكًا) ، وإن كان الهدف الرئيسي من قيادة بني إسرائيل هو قيادتهم للجهاد في سبيل الله ، ولكن منصبه الإلهي كان يسمح ويجيز له أن يتصرف بما يليق بالحكومة بشهادة آخر الآية وهو قوله تعالى :

(325) البقرة : 246 .

(326) البقرة : 247 .

(وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ)

4- إنَّ أهمَّ شرطٍ من شرائط الإمامة والقيادة هو العلم الواسع ، والقدرة في الجسم ،
والمؤهلات المعنوية . وخصوصاً للقيادة في ذلك الزمان الذين كانوا يقودون الجيوش ،
ويجاهدون معهم .⁽³²⁷⁾

فاستبان مما مرَّ أنه لا تلازم بين النبوة والإمامة ، وأنه يمكن انفصالهما فتكون النبوة في شخص ولا
يكون إماماً وقائداً للأمة ، أو أن تكون الإمامة الإلهية وقيادة الأمة في شخص ولا يكون نبياً . ويمكن أن
يجتمع المقامان في شخص واحد له أهلية كلا المقامين ، كما يقول تعالى :

(فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا
يَشَاءُ)⁽³²⁸⁾ .

(327) اقتباس من كتاب «منشور جاويدان» للشيخ السبحاني .

(328) البقرة : 251 .

ما هو المعيار في معرفة التوحيد من الشرك ؟

الجواب :

من أهم المسائل المطروحة في مباحث التوحيد والشرك هو معرفة المعيار فيهما ، وما دام هذا السؤال باقياً من دون إجابة فلا يمكن الإجابة عن بعض الأسئلة الأخرى المبنية عليه أيضاً ، فالإجابة عن هذا السؤال بمنزلة الأساس لغيره من الأجوبة أيضاً . ومن هنا سنطرح فيما يلي مسائل التوحيد والشرك بصورة مختصرة :

1- التوحيد في الذات

التوحيد في الذات يطرح بشكليين ، هما :

أ- إنَّ الله واحد ، وليس له مثل أو نظير ، وهو التوحيد الذي ذكره الباري في كتابه العزيز بصور مختلفة ، كقوله تعالى :

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)⁽³²⁹⁾ .

وقوله في موضع آخر :

(وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)⁽³³⁰⁾ .

لكن قد يفسر هذا التوحيد الوارد في الآية بتفسير ساذج ينسجم مع أذهان عوام الناس ، فيأخذ صبغة التوحيد العددي ؛ وهو أن يقال : إنَّ الله واحد لا إثنان .
ومن الواضح أنَّ التوحيد العددي لا يناسب مقام العظمة الإلهية .

ب - أنَّ الذات الإلهية بسيطة لا تركيب فيها ، فإنَّ التركيب في الموجود دليل على حاجته ، سواء كان التركيب في الأجزاء أو كان التركيب ذهنياً ؛ لأنَّ التركيب في موجود معين دليل على حاجته إلى أجزائه ، والحاجة علامة الإمكان ، والإمكان يلزم الحاجة إلى العلة ، وكلَّ ذلك ينافي وجوب الوجود .

2- التوحيد في الخالقية

التوحيد في الخالقية هو أحد مراتب التوحيد ، وقد أيده العقل والنقل . فدلَّ العقل على أنَّ كلَّ ما في عالم الإمكان من الموجودات فهو عار عن كلِّ جمال وكمال ، وأنَّ كلَّ جمال وكمال في الوجود فهو من منبع الفيض ، أعني الغني بالذات ، واجب الوجود . فكلَّ ما نشاهده من الجمال والكمال فهو جماله وكماله تقدست أسماؤه .

(329) الشورى : 11 .

(330) التوحيد : 4 .

وأما النقل فقد دلت الآيات الكثيرة بصراحة على هذا النوع من التوحيد ، نظير قوله تعالى :

(قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (331) .

فعلى هذا لا يمكن أن يتصور خلاف في أصل التوحيد في الخالقية .

نعم ، يوجد تفسيران للتوحيد في الخالقية ، هما :

أ - إنَّ كلَّ ما في الوجود من نظام العلوية والمعلوية أو الأسباب والمسببات بين الموجودات فلا بدَّ أن ينتهي إلى علّة أصيلة هي علّة العلل ، ومسببة الأسباب ، هو الخالق المستقلّ والأصيل لتمام المخلوقات ، وهو الله سبحانه وتعالى ، وتأثير ما عداه في معلولاته تأثير بالتبع وبإذن الله ومشيتته .

فالأساس الذي اعتمده هذه النظرية هو نظام العلوية والمعلوية في الوجود ، الذي توصل إليه العلم أيضاً . وفي نفس الوقت اعترفت هذه النظرية بأن جميع الكون متعلّق بنحو من الأنحاء بالله سبحانه ، فهو الذي أبدع هذا النظام وهذا العالم ، وهو الذي أفاض السببية على الأسباب ، والعلوية على العلل والتأثير على المؤثرات .

ب - إنّه لا يوجد في الوجود إلاّ خالق واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، ولا تأثير في الوجود لشيء على شيء ، وإنّما التأثير منحصر في الباري جلّ وعلا ، فهو المؤثر في جميع الأشياء من دون واسطة ، فجميع الظواهر الطبيعية من آثاره سبحانه بلا واسطة شيء آخر ، حتى إنّ قدرة البشر في الأفعال لا تأثير لها أيضاً .

وعلى هذا فليس في الوجود إلاّ علّة واحدة هي الله سبحانه وتعالى ، بل إنّ الله سبحانه هو القائم مقام جميع العلل الطبيعية التي توصل إليها العلم .

لكن هذا التفسير للتوحيد في الخالقية إنّما يقول به بعض علماء الأشاعرة ، وأنكره آخرون منهم ؛ نظير إمام الحرمين⁽³³²⁾ ، والشيخ محمد عبده في رسالته في التوحيد ، حيث وافقوا التفسير الأوّل للتوحيد .

3- التوحيد في التدبير

لما كان الخلق منحصرًا في الباري جلّ وعلا ، كان تدبير نظام الوجود منحصرًا فيه أيضاً ، ففي الوجود لا مدبّر إلاّ الله سبحانه وتعالى .

والدليل العقلي الذي يثبت التوحيد في الخالقية بنفسه يُثبت التوحيد في التدبير أيضاً .

وأما الدليل النقلى ، فقد دلّ القرآن الكريم في آيات عديدة على أنّ المدبّر الوحيد في العالم هو الله سبحانه وتعالى ، كقوله تعالى :

(331) الرعد : 16 . ونظير الآية 102 من سورة الأنعام : (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) .

(332) الملل والنحل للشهرستاني ، ج 1 .

(قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) (333) .

ويجري نفس التفسيرين اللذين ذكرناهما للتوحيد في الخالقية هنا ، ففي نظرنا أن المراد من التوحيد في التدبير هو انحصار التدبير الاستقلالي به سبحانه وتعالى . وعليه فالتدبير بين الموجودات المختلفة في العالم كلها تدبيرات بالتبع ، وكلها بإرادته ومشيئته سبحانه وتعالى ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله :
(فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) (334) .

4- التوحيد في الحاكمية

التوحيد في الحاكمية تعني أن الحكومة كحق ثابت لا يمكن إزالته مختصة بالله سبحانه وتعالى ، فهو الوحيد الذي له الحكم على الأفراد ، وهذا ما صرح به القرآن الكريم بقوله :
(إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (335) .

وعلى هذا الأساس يجب أن تكون حكومة الآخرين بمشيئته وإرادته سبحانه ، كي يقود الصالحون الناس إلى الهداية ، ويوصلوهم إلى شاطئ السلام ، وينزلوهم منازل السعادة والكمال ، كما يقول تعالى :

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) (336) .

5- التوحيد في الطاعة

التوحيد في الطاعة يعني أن من تجب طاعته ويلزم أتباعه بالذات هو الله سبحانه وتعالى . وعليه فطاعة غيره من نبي ، أو إمام ، أو فقيه ، أو والد ووالدة ، أو... كلها بأمره وإرادته سبحانه وتعالى .

6- التوحيد في التقنين والتشريع

التوحيد في التقنين يعني أن حق التشريع ووضع الأحكام والقوانين مختص به سبحانه . ومن هنا فإن القرآن الكريم يصف الحكم الذي يخرج عن إطار التشريع الإلهي بأنه سبب للكفر تارة ، وللفسق أخرى ، وللظلم ثالثة ، وذلك حين يقول :

(وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (337) .

(وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (338) .

(وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (339) .

(333) الأنعام : 164 .

(334) النازعات : 5 .

(335) يوسف 40 ، والأنعام : 57 .

(336) ص : 26 .

(337) المائدة : 44 .

(338) المائدة : 47 .

(339) المائدة : 45 .

7 - التوحيد في العبادة

أهم بحث في هذا النوع من التوحيد هو تحديد معنى العبادة ; فإن جميع المسلمين متفقون على اختصاص العبادة بالله ، ولا يجوز عبادة غيره ، وهو ما أكدّه القرآن الكريم بقوله :
(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)⁽³⁴⁰⁾ .

ويستفاد من الآيات الكريمة وجود أصل تشترك فيه دعوة جميع الأنبياء ، وتمام سفراء الله سبحانه الذين بعثهم لتبليغ الأديان ، فالقرآن الكريم يصريح بقوله :
(وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)⁽³⁴¹⁾ .

فهذه الآية تبيّن وجود أصل متفق عليه بين الرسل وهو أنّ العبادة مختصة بالله سبحانه ، ولا يجوز عبادة غيره . وعليه فلا كلام في هذه الجهة ; لعدم الخلاف فيها .

إنّما الكلام في المعيار الذي نشخص به العبادة عن غيرها . فمثلاً تقبيل يد المعلم ، أو يد العالم ، أو يد أحد الوالدين ، أو أمثالهم من ذوي الحقوق ، هل يعدّ عبادة لهم ؟ أم أنّ معنى العبادة ليس هو مطلق الخضوع والتذلل ، وإنّما يجب أن يتوفّر في الخضوع عنصر آخر كي يكون عبادة ، وما لم يتوفّر هذا العنصر في حقيقة العمل فلا يعدّ عبادة ، حتى لو كان الخضوع في حد السجود .
والآن يجب معرفة هذا العنصر الذي به يكون الخضوع عبادة ، وهذه المسألة مهمّة للغاية .

الفهم الخاطي للعبادة

عرّف بعض الكتاب العبادة بأهما «الخضوع» ، أو «الخضوع الشديد» . فواجهوا مشكلة في تفسير جملة من الآيات الكريمة ، حيث صرّح القرآن الكريم بأننا أمرنا الملائكة بالسجود لآدم ، وذلك قوله تعالى :

(وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ)⁽³⁴²⁾ .

فالسجود لآدم(عليه السلام) كان بنفس الطريقة والهيئة التي كانوا يسجدون فيها لله سبحانه ، والحال أنّ السجود الذي سجده لآدم كان لإظهار وإبراز التواضع ، بخلاف سجودهم لله فإنّه عبادة .

فيقع السؤال التالي : لماذا اختلفت حقيقة هذين السجودين مع اتّحادهما في الهيئة ؟

وبيّن الباري في موضع آخر من الذكر الحكيم أثناء سرده قصّة يوسف(عليه السلام) أنّ يعقوب(عليه السلام) سجد لولده ، حيث يقول :

(340) الفاتحة : 5 .

(341) النحل : 36 .

(342) البقرة : 34 .

(وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) (343) .

والمراد من الرؤيا في الآية هو ما رآه يوسف (عليه السلام) قبل ذلك في المنام حيث رأى أحد عشر كوكباً و الشمس و القمر له ساجدين ، والذي ذكره الباري عن لسان يوسف بقوله :
(يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (344) .

فمن تفسير يوسف (عليه السلام) وتأويله سجود أبيه وأهله له بما رآه سابقاً في المنام ، يتضح أن المراد من (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) هو إخوته الأحد عشر والمراد من (الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ) هو والديه .
وبهذا يتضح أنه لم يكن السجود ليوسف من قبل إخوته فقط ، وإنما سجد له أبوه يعقوب (عليه السلام) أيضاً وهو نبي معصوم .

فهنا يقع السؤال التالي : لماذا لم يكن هذا السجود — والذي فيه تمام الخضوع — عبادة ؟

عذرٌ هو أقرب من الفعل

تخير الكتاب المشار إليهم سابقاً في الجواب عن هذا السؤال ، فقالوا : لما كان هذا الخضوع بأمر الله سبحانه وتعالى لم يكن شركاً .

لكن هذا الجواب ليس بناضح كما هو واضح ؛ فإن الله لا يأمر بالعمل إذا كانت حقيقته شركاً .
فالقرآن الكريم يقول :

(قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (345) .

وأساساً فإن أمر الله بالشيء لا يغير حقيقة الشيء ، فإذا كانت حقيقة الخضوع لإنسان عبادةً له ، ومع ذلك فقد أمر به الباري سبحانه ، فنتيجته هو الأمر بعبادته .

جواب الإشكال وبيان المعنى الحقيقي للعبادة

اتضح لحد الآن أن حرمة عبادة غير الله من موارد اتفاق جميع المسلمين ، وجميع الموحدين لله سبحانه . كما اتضح أن سجود الملائكة لآدم (عليه السلام) ، وسجود يعقوب (عليه السلام) وأولاده ليوسف (عليه السلام) لم يكن عبادة لهما .

والآن لتأمل في السبب الحقيقي الذي جعل فعلاً واحداً له نفس الخصوصيات عبادة تارة ، وخارجاً عن نطاق العبادة أخرى .

(343) يوسف : 100 .

(344) يوسف : 4 .

(345) الأعراف : 28 .

بمراجعة الآيات الكريمة يتّضح لنا أنّ العبادة هي الخضوع أمام موجود معيّن مقترناً مع اعتقاد الوهيّته ، أو نسبة الأفعال الإلهية إليه . ومن خلال هذا البيان يتّضح أنّ العنصر الرئيسي الذي يجعل الخضوع عبادة تارة ويخرجه عن حيز العبادة أخرى هو اعتقاد الوهيّة ذلك الذي يخضع له ، أو أن ينسب الأفعال الإلهية إليه ، فإذا اقترن الخضوع بهذا الاعتقاد اكتسب صبغة العبادة .

فكان مشركو العالم — سواء من كان منهم في شبه الجزيرة العربيّة أو غيرها — يخضعون لأصنام وموجودات يعتقدون أنّها مخلوقة لله ، لكنّهم مع ذلك يعتقدون أنّ بعض الأفعال الإلهية — كغفران الذنوب والشفاعة — موكلة إليهم .

كما كان بعض مشركي بابل يعبدون أحرماً سماوية يعتقدون أنّها أرباب لهم — لا أنّها خالقة لهم — وإنّما يعتقدون أنّها المدبّرة لشؤونهم ، والمسيرة لهذا العالم ، وأنّ أمر الناس موكل إليهم ، ولهذا فإنّ مناظرة نبيّ الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) مع مشركي بابل كانت على هذا الأساس ؛ فإنّه لم يكن من عقيدة مشركي بابل أنّ الشمس والقمر والنجوم آلهة خالقة لهم ، وإنّما كان من عقيدتهم أنّ الشمس والقمر والنجوم مخلوقات قادرة ، أوكل لها إدارة الكون وتدبير الأمور .

والآيات الكريمة التي ذكرت وبيّنت مناظرة نبيّ الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) مع مشركي بابل اعتمدت واثكأت على لفظة «الربّ» ، وهي تعني «الصاحب» و «المدبّر للمملوكات» . فالعرب يسمّون صاحب البيت «ربّ البيت» ، وصاحب المزرعة «ربّ المزرعة» ، لأنّ تدبير أمور البيت على عهدة صاحبه وتدبير أمور المزرعة على عهدة صاحبها .

فالقرآن الكريم يصدع بأن الله سبحانه هو المدبّر الوحيد للكون ، وبهذا فقد نهض الباري جلّ وعلا لمبارزة المشركين ، ودعاهم إلى عبادة الله وحده بقوله عزّ من قائل :

(إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)⁽³⁴⁶⁾ .

وقال في موضع آخر :

(ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)⁽³⁴⁷⁾ .

وقال في موضع ثالث :

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ)⁽³⁴⁸⁾ .

وقال حاكياً عن لسان عيسى (عليه السلام) :

(وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ)⁽³⁴⁹⁾ .

(346) آل عمران : 51 .

(347) الأنعام : 102 .

(348) الدخان : 8 .

(349) المائدة : 72 .

فيعلم مما مضى بوضوح أنه لا يمكن عدّ الخضوع الذي لا يقارنه اعتقاد الألوهية عبادة ، حتى لو كان في أعلى درجات الخضوع والتذلل . وكذا نسبة الأفعال الإلهية إلى مخلوق معيّن لا يمكن عدّها عبادة ما لم تقترن باعتقاد الألوهية .

فعلى هذا الأساس لا يكون خضوع الولد أمام أبيه وأمه ، وخضوع الأمة أمام النبي (صلى الله عليه وآله) عبادة ؛ لفقدانه القيد المذكور .

وبهذا يتضح الحال في كثير من المسائل نظير : التبرّك بآثار أولياء الله سبحانه ، وتقبيل أضرحة وأبواب مشاهد الأئمة والأولياء والصالحين ، والتوسّل بأولياء الله وأحبّائه ، ونداؤهم ، وإحياء ذكريات ولاداتهم ووفياتهم ، و ... التي عدّها بعض الجهّال من الشرك ، مع أنه اتّضح بما ذكرناه أنه ليس لها بالشرك صلة .